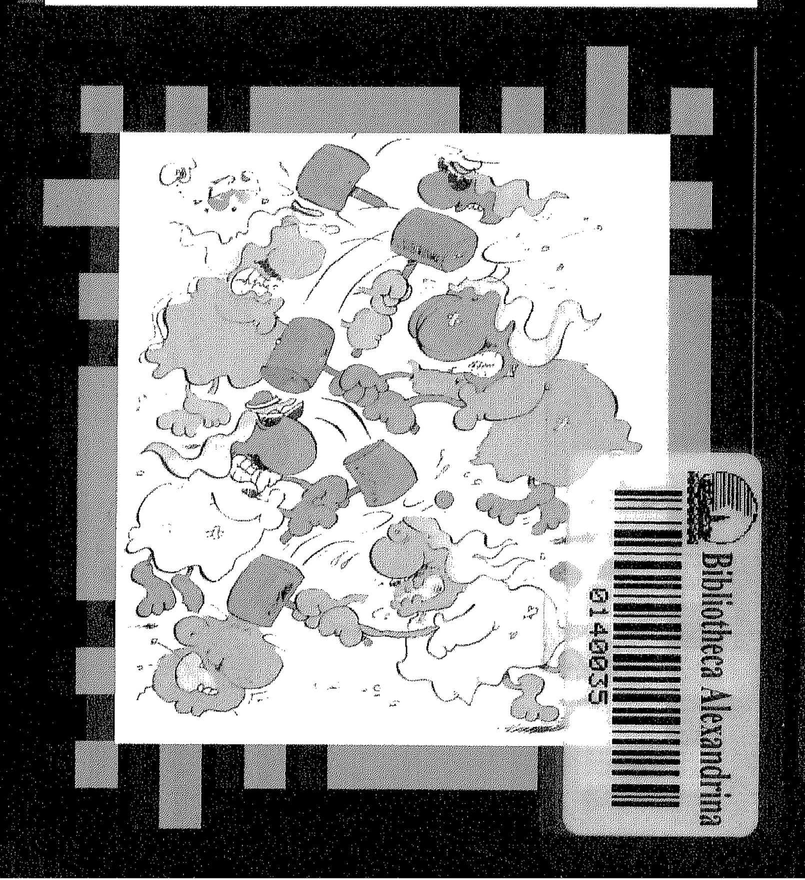
إيماءات

إبراهيم بشمي

الرأي والرأي الآخر





الرأي .. والرأي الآخر

إيماءات ابراهيم بشمي

سلسلة كتاب: إيماءات

الرأي والرأي الآخر

المؤلف: ابراهيم بشمي

رقم الايداع فى المكتبة العامة ـ البحرين.

الطبعة الاولى:/ د.ع 1904/1996

من اصدارات مؤسسة الايام للصحافة والطباعة والنشر

المنامة ـ البحرين ـ ص.ب 3232

هاتف: 727111 ـــ فاكس: 723300

الرأي .. والرأي الآخر

إيماءات ابراهيم بشمي

من اصدارات: مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع

أدوار

عادة فان لبنان هو بلد العجائب، وأعجب العجائب اللبنانية فى هذه المرة، هو قيام ادارة صحيفة، برفع قضية على وزير، وليس كما عودتنا الاحداث عادة، بقيام الوزير برفع قضية على الصحيفة.. او الصحافى.

والقضية الجديدة من نوعها، تدور بين صحيفة النهار، وصاحبها غسان توينى، الذى كتب افتتاحية صحافية، ضد وزير الدفاع اللبناني محسن دلول، والذى بالمناسبة هو أيضا صحافى سابق، ينتقد غسان توينى، فى تلك الافتتاحية، وزير الدفاع اللبنانى محسن دلول، على تصريحاته فى دمشق، وعلى اصراره، باستمرارية العمل بمنح رخص السلاح.. الذى قام وزير الدفاع بمنحها بكثرة لأهالى الجنوب.

وبعد صدور هذا المقال الافتتاحى، أصدر مكتب وزير الدفاع، بيانا ضد غسان توينى، وضد النهار يتضمن اتهامات لغسان توينى، تجاوزت كما يقولون البيانات الرسمية، حيث اتهمت غسان توينى بالعمالة الخارجية، وأشارت الى ارتباطاته الاسرئيلية.. وارسل هذا الرد الى النهار، والجرائد الاخرى.

وطبعا لم تنشر النهار الرد، وكتبت تقول، بانها قررت رفع قضية قدح، وذم، وافتراء، وتشهير ، على وزير الدفاع، وانها لن ترد على مانشر!

4/1 الصحافة والخطأ الاول

سادت مـقولة، بعـد الغزو العراقي للكويـت، فى اوساط بعض القراء، تتهم اجـهزة الاعلام بالمسؤوليـة الأولى والاخيرة عن هذا الغزو، وذلك بسـبب سكوته عن طبيـعة حكم صـدام للعراق.. او صـمتـه المطلق، طوال فتـرة سنوات الحرب الماضـية، تحت عـدة تبريرات، اهمها الدفاع عن شرق الوطن العربي.

وبالتالي، فأن ما شاهدناه من تطبيل لهذا الغزو، ومن تنظير له لدى بعض المثـقفـين العرب، ومن بضـعة مـظاهرات، فى بضعـة شوارع مدن عربية، ماهو الا نتيـجة لهذا الصمت من جهة، ولهذا التطبيل من قـبل اجهزة الاعـلام من جهة واخـرى، والتى رافقت صدام طوال حـربه مع ايران، «فذوقوا مـاكنتم تطبخـوه» ، يقول هذا البعض، متشفيا لأسبابه الخاصة.

فإذن وحـتما، فـأن النتيجـة المنطقية، هى ادانة الاعـلام المتهم الاول والاخير، وبشـكل مطلق، كما كان هو المدان فى حرب لبنان، وفى حرب 67، وكمـا تمت ادانته، فى قضية غـزو الكويت.. فهو المشـجب الاول والاخير، لكل الهزائم والنكبات العربية.

وللوهلة الاولى، فـأن هذا الاتهـام، قد يبـدو اقـرب للتصـديق

والحـقيـقـة، من أى اتهــام آخر، حــيث ان الصــحــافة العــربيــة، والصحــافة فى دول الخليج العـربية، قد طبلت اكـثر من غــيرها، للرئيس العــراقــي واطروحــاته، لكن دعــونا نســتــعــرض بعض الحـقائق، ونتـفـحـصـهــا حتى نتـبين اين كـمنت العلة، واين وقع الخطأ.. وهل أن الاعلام مسؤول حق عن ماحصل، ام هو الشماعة الجاهزة لتعليق الاخطاء عليها؟!



4/2 التنميط والتعميم

جميع أجهزة الاعلام والعاملين في سلة واحدة، وتعميم حالات مختلفة تحت بند نمطي واحد، وبالتالي ينصب هذا الاتهام على جميع القطاعات الاعلامية المختلفة.. وهنا مكمن الخطأ الاول. يقوم مكمن الخطأ الاول بدمغ الاعلام العربي من خلال سياسة التكثيف والتنميط، فصحيفة (أ) هي صحيفة (ب) والصحافي (عبيد) هو الصحافي (زيد)، وبما ان (أ) هى جريدة كذابة، و (عبيد) منافق، فإن (ب) هي دجالة و (زيد) منافق ايضا، هكذا او من خلال هذا المنطق الارسطى الجامد، تنمط وتعمم وتكرس هذا الظاهرة النقدية المؤسفة ضد الصحافة.

ولو عدنا بالذاكرة قليلا الى بداية الثمانينات، وما رافق الثورة الايرانية بتعدد اطرافها من احتقانات سياسية، وعقائدية وافرازات، وتصاعد درامي لطبيعة الاسقاطات السياسية على المنطقة، وبالتالي ما رافق ذلك من تهديدات لنقل الثورة الايرانية وتصديرها الى

المنطقة، وتحرك فئات داخلية تؤمن ايديولوجيا وفكريا بمقولات بعض الاطراف المشاركة في الثورة الايرانية، والتي

استلمت الحكم للتو، وهو استلام هش يريد كل طرف تثبيت نفسه بالمزايدة السياسية على الطرف الآخر.

ومن ثم توحدت القوى الخارجية المناهضة للثورة التى تريد ان تمد اطرافها للخارج، وأندلعت الحرب العراقية الايرانية لحسابات ومداخلات سياسية مختلفة، لم تنضج على نار هادئة.. وبالتالي تصبح بداية الفتيل الذي شق الصف العربي بينه وما بين الثورة الايرانية، والتى بدأت تلقى بظلالاتها المختلفة على المنطقة كلها طوال عقد من الزمن، والتى كان كل طرف ينظر لها ما للناظر فى دوامة الاعصار من حبل الرجاء فى النجاة.



4/3 مجرد مفاتيح

ليس هنا مجـال التحليل السيـاسى فى عجالة العمـود اليومي، ولكن نحاول فـقط سرد بعض رؤوس الاقلام، لتكثيف مـا حدث، وما فى التكثـيف من خلل، المهم لقد اشتـعلت الحرب.. وكل طرف شحـذ اسلحته العسكريـة، والاقتصادية، والسـياسية.. واهمـها اجـهزته الايديولوجـيـة، والاعلامـية، وتقـافـزت حرب الكلمـة، والصـورة، واللون، وحتى الموسـيقى، كـانت علة العلل، وانا هنا اشيـر الى مـفاتيح، مـجرد مـفاتيح فى صـراع عنيف، يكون من واجب الباحـثين الآن تعمـيقه وتحليله، لرد العـقول العـربية الى اوضـاعها الصحيحة، لرؤية الحـقيقة على قسوتها، حتى لا تكون رؤيتنا لانفسنا ممسوخة.

كانت هناك مواقف متعددة، بتـعدد رؤيتها للحرب، كانت هناك مـواقف حكومـات ودول، تنظر كل دولة لهـذه الحرب من مـدى خطورة ما وصل اليها من شظايا الثـورة الايرانية فى حينها، من تهديدات كلامية او واقعية، وكانت هناك مواقف لتنظيمات عربية، انقسمت فى رؤيتها للحرب من خلال تعـقيدات العلاقات العربية وتنافـرها، وكـان هناك انحـيـاز دولي، من ضـمن سـيـاسـة

المعسكرين، المنقسمين دوليا آنذاك، وكان هناك الشارع العربي بعقده واحتقاناته السياسية، والايديولوجية، وبانصاف الحقائق التى يتلقاها.. وكان.. وكان.

وكانت هناك الصحافة العربية.. وليس كل الصحافة العربية هى صحافة واحدة، هناك صحافة عربية فى اوروبا، مشتراة من عدة اطراف، عربية وغير عربية، كانت تؤيد او تهاجم كل طرف فى الحرب، حسبما ترتئى الجهة الدافعة، وكانت هناك صحافة احزاب، وتنظيمات جماهيرية، تقودها احزاب، تنطق من خلال عناصرها الحزبية، وتعبر عن رأي تلك التنظيمات فى الحرب، من خلال اقترابها او ابتعادها، عن النظام العراقي او الايرانى.. او من خلال مواقف لجانها المركزية.

وكانت هناك صحافة مؤيدة فعلا للحرب، من منطلقات ايديولوجية وتنظيمية.. وكانت هناك صحافة عربية هى الاخرى كانت معارضة للحرب ايضا ايديولوجيا وتنظيميا.. وكان.. وكان.. وكانت هناك صحافة عربية، وصحافيون عرب، وقفوا بداية ضد الحرب، انطلاقا من رؤيتهم ونظرتهم المستقلة لواقع المنطقة، ولفهمهم للواقع السياسى السائد آنذاك.

4/4 الحقيقة الغائبة

كانت هناك الحرب، وكانت اجهزة اعلام الدول الرسمية، من اذاعة، وصحافة، وتلفاز تعبر عن وجهة نظر الدول، من قرب او بعد، عن موقفها السياسى، من هذا النظام، او ذاك، وكانت هذه الدول تعبر عن وجهه نظرها، اما تلميحا من خلال الخبر والصورة، واما تصريحا بالتحليل والنقد، وحتى بالشتائم السياسية والردح من جهة اخرى! او بسياسة التجاهل! كأن الحرب تجرى فى واد غير ذى زرع.. بعيدا هناك.. فى الواق واق!

وكانت علة الاعلام الخاص، او علة العلل، هو محاولة الحكومات، ربط هذا الاعلام باعلامها الرسمى، وبالتالى فانه عندما يكون صوت هذا الاعلام الخاص، يختلف عن صوت الجهات الرسمية، يغدو الامر لهذه الجهات الرسمية كأنه «سبة» او «عار» او «ضعف» للدولة.. وكأن الامور سائبة.. فيبدأ تدخل الاعلام الرسمى، اما مباشرة كما فى بعض الدول، او غير مباشرة، فى بعض الدول الاخرى، لقسر الاعلام الخاص، وجعله يتناغم مع الاعلام الرسمى فى بوتقة واحدة.. فاذا كانت العلاقة حسنة من دولة ما.. فيصبح كل الرتم الموسيقى منسجم، فى

عـزف مقطـوعة المدح الواحــدة، وان كانــت العـلاقــة متدهورة تناغمت الجوقة فى حفل سباب مـوحد، وتلك هى العلاقة الجدلية الممسوخة ما بين الاعلام الرسمى والاعلام الخاص فى دول العالم الثالث.. الكل يريد من الاعلام ان يصبح «صوت سيده»!

وهكذا تتحـدد قناعات الطرف الآخـر، بان اى نقد صــحافى فى دولة مــجاورة، هو نقـد يعبـر عن رأي الدولة، واى مدح هو مـدح يعــبـر عن الدولة، وان الصــحــافــة فى تلك البــلاد، هـى جـزء من وزارات الاعلام، وان الاعلام الكاذب هو المســئول عن صراعنا مع دولة، وعمق علاقتنا مع دولة اخرى.. وتلك هـى الحقيقة الغائبة!



دماغ يوك !

في كثير من بلدان العالم الثالث تكون الامور غير واضحة ، ولامقننة في قانون ، او موضوعة على ورق ، وان وجدت تلك القوانين فهي مجرد احبار على ورق ، حيث لامؤسسات تحميها ، ولا نظم ولا تقاليد تراعيها .. ولا ادل على هذا الامر من هذه القصة القادمة من دهاليز الدولة العثمانية .

يقال ان المكتوبجي في الدولة العثمانية هو من يقوم مقام سكرتير الوالي في كل ولاية ، ولاعلاقة له بالكتابة وبالكتاب كما يتضح من اسمه ، ولسوء الحظ ان عهدت الحكومة العثمانية في ولاية بيروت امر مراقبة الجرائد الى هذا المكتوبجي ، فارتبط اسم الرجل بمراقبته للصحف اكثر من كونه سكرتير الوالي .

ويروى سليم سركيس مؤلف كتاب «غرائب المكتوبجي» قضية مكتوبجي بيروت الذي لايعرف كلمة من اللغة العربية ، مع صاحب مجلة ثمرات الفنون عبدالقادر القباني ، الذي ذهب الى هذا الرقيب التركي راجياً منه وضع قانون او تحديد خطة ، او بصريح العبارة ،

أن يوضح له ماهو مسموح بنشره ، وماهو ممنوع ، فرد عليه المكتوبجي التركي ، ووضع اصبعه على دماغه وقال له : «أغا عبدالقادر .. قانون هنا .. ورق يوك !» .

وكم من هذه المقولة تنطبق على احوال العالم الثالث عندما يكون المسموح والممنوع في الدماغ .. وليس على الورق !.



الرأي السائد

دار حوار، بيني وبين زميلة صحافـية، حول مدى صحة الرأى السائد، لدى قطاعات المجتمع، فى مرحلة معينة، وهل على الكاتب الصحـفي، ان يساير هـذا الرأى السائد، حتـى لو اعتقـد بخطأه، خوفا من ردود الفعل، او التفسيرات المغلوطة.

وحـتى لانتوه فـى سراديب التنظـيرات قلت: هل تسـتطيـعين الكتابة ضد هذا الرأى السائد، المطالب الدولـة، بإجراء خصومات، او تخفيضات، او منحة على الخدمات، التى تقدمها الدولة، كما هو سائد الآن فى بعض الدول الخليجية؟

وواصلت حديثى: انت تعرفين بحجم الانفاق الحكومى، وبقيمة دخل الدولة.. وانت تعرفـين ان مثل هذا الاجراء، سـوف يضاعف من حجم العجز فى الميزانية.. فهل تستطيعين صدم الرأى السائد، بمثل هذا الرأى الواقعى، والبعيد عن احلامهم؟

فكرت الزميلة قليـلا وقالت: كلامك صـحيح من ناحيـة ان مثل تلك الاجراءات، قد تتخذ فى بعض الدول، لعدة اسـباب سياسية، ولكن ليست هى حل للمشكلة.

قلت: كلامك هو الآخر صحيح، فعندما اؤمن برأي، حتى لو كان بعيدا عن الروح السائدة، فيجب ان نوضح الابعاد الاخرى له، وطرح الحلول الواقعية السليمة.. فما هى من وجهة نظرك فى الحل المناسب؟

ردت الزميلة المشاغبة: يجب جدولة اولوياتنا ومواردنا المالية.. وأشياء كثيرة لا استطيع ان اعرفها كفرد بحكم عدم تخصصي، ولكن لو توافر لنا مجلس تخطيط له صلاحيات يستطيع ان يضع الحلول، والاقتراحات ليست لمثل هذه الامور فقط، ولكن لمستقبلنا التنموي كله، ولما جرينا وراء مثل تلك الاحلام.. احلام الفوز بورقة يانصيب سارة!



مقال باسم مستعار

جاء ذات مـرة يحمل مقالا، باسم مـستعـار، يطلب مني نشره، المقال يكيل سيل من الاتهامات، الـى عناصر تعمل فى مرفق عام، يتهمهم فيها بالسرقة، وتكوين عصبة تشيل بعضـها بعضا، وانهم يقفون فى وجـه كل عنصر جديد.. ويحتكـرون العمل.. و.. وكال سيل من الاتهامات.

قلت له: سوف انشر لك تلك الـرسالة، لكن على شرطين، الاول ان تضع اسمك الصـريح، لتتحمل وجهـة نظرك، التى انت مؤمن بها، والشـرط الثاني، ان تجهـز لي أدلة الاتهام، لاثبـات مثل تلك الاتهـامات، تكون عندى الدليل الدامـغ على ذلك، عندما يحـولنى المسؤول الى المحكمة.

سكت اخينا الذى يريد ان يحجز له مكانا وسط تلك الشلة، التى يكيل لها الاتهامات، لأنه لم يجد منفـذ للوصول اليها، وبعد مرور فترة من الزمن اصبحت اراه، وقد استطاع ان يصل الى تلك الشلة التى كال لهـا الاتهامـات، وتبؤا له مكان مناسب وسطهـا، واقفل فمه.

فترة تجريبية

للموظف الجديد فترة تدريبية مدتها 3 أشهر، هذه الثلاثة أشهر يثبت خلالها الموظف الجديد جدارته للعمل ويبقى، او يثبت عدم جدارته، ويبحث له عن عمل آخر.

اليوم اكملت تلك الثلاثة أشهر التجريبية في كتابة العمود الصحافي، والثلاثة أشهر في عمر الزمن الصحافي ليست بالكثير، وكنت اقول دوماً بأن العام 365 يوماً، ولايمكن اختزال كل ما في العام في عمود يوم واحد، الا ان البعض من القراء، مصر على ان تكتب كل ماجمعوه في اعوامهم المحبطة في عمود واحد.. على طريقة قل كلمتك وامش!

والبعض الآخر من القراء.. يريدك ان تكتب فقط ما يرضي ذاته، واحباطاته وهمومه، وان كتبت خارج هذا الامر، فانت رعديد، ولا تعرف تكتب.. و..

والمشكلة ان هذا الامر حقيقة مشكلة..

التقرير اليومي
المرفوع الى سعادة .....

الفت نظر سعادتكم، الى ما تناوله الكاتب الفلاني، والذى دأب مؤخراً على استعمال عبارات التورية، والتوارب، واللمز، والهمز، فهو يحاول بهذه الغمزات، ان يبحث عن مثالب الحكومة، وعن العيوب والنواقص، وان يدخل قلمه فى «الغيران» حتى يؤلب الناس على الحكومة.

لقد لوحظ مؤخراً بأنه يستعمل عبارات ويكررها فى مقالاته، مرة يركز على كلمة مثل «ظلم» و «يظلم»، ومرة يكرر كلمة «العدل» و «العدالة» وتراه ثالثة، يتكلم عن «الغلاء» و «المعيشة» و «الرشوة»، وكما تعلمون سعادتكم، ان ما لمثل هذه الكلمات، من ايحاءات تحريضية واضحة على الامن، وما لهذا الكاتب من خلفيات سياسية ينطلق منها، ونلفت نظر سعادتكم الى ذلك، لاتخاذ اللازم.

تقرير ناصح الخير:

كما هو واضح مؤخراً، نود ان نلفت سعادتكم الى ما للأوضاع الاجتماعية التى تمر بها البلاد، من قضايا غلاء، وارتفاع اسعار،

وثبات الرواتب عند الحـدود الدنيا، كمـا ان بعض موظفي الدولة، اخذوا يجعلون الاكراميـات المدفوعة لهم، اتاوة اجبارية، مما دفع هذا الامـر، الى تصـاعـد التـذمـر والشكـاوي، لدى المواطنين فى المقاهي والانديـة، الى ان يحاول الكاتب الفلاني، الـى ان ينبه الى هذا الامر بطريقة غيـر مباشرة، فى اكثر من مقـالة، يشكر عليها، حـيث انه ينبـه الى مـواطن الخطر، وابعـاده المسـتـقـبليـة، على الاستقرار فى البلد، مما يتطلب الامر من سعادتكم، الايعاز الى ان تقوم الاجـهزة اللازمة باسـتشعـار مكامن التذمـر، التى ابتدأت تزداد لدى المواطـن، فى ظل الظروف الاقـتـصـادية الـراهنة، ومحاولة البحث عن حلول جذرية لحلها..



حل النعامة

تجرى فى البحرين، أول تجربة فى العـالم العربي، فى التعامل مع البث التلفـزيوني الدولي، عبر الاقـمار الصناعـية، وانها حـقا تجـربة صعـبة وشـجاعـة، تدخل بهـا البحـرين، القرن الواحـد والعشـرين، من أوسع ابوابه، أقصـد بوابة القنوات التلفـزيونية الفضـائية، وها نحن نشهد هذه التـجربة امام اعيننا، ونتذكر كيف استقبل الناس التلفـزيون بالابيض والاسود فى بدايته.. وسوف نقرأ فى المستقبل، كيف واجهنا مثل هذه التجربة.

وطبعـا لا تخلو تجربـة من التجـارب البشرية، مـن رأى مؤيد بشكل مطلق، ورأي معـارض بشكل مطلق، ورأى وسط يمزج ما بين الرأيين، حول طبـيعة بعض مـا يبث علينا ، وليس على الفكرة بحد ذاتهـا، البعض قد تثيـره لقطة، فيرفع عـقيرته بالاحتـجاج، والبعض قد تثيره ندوة، تعـالج مشكلة من منظور المجتمع الآخر، والبعض الثالث.. والبعض الرابـع.. وطبعا لا يعني ان هذا البعض ليس على حق فى رؤيتـه، او تفكيـره تجاه مـا نراه، او ما سـوف نراه، فهو بث يلـبي احتياجات مـجتمع آخر، له عـاداته وتقاليده، والتى مـن المؤكـد، انهـا تختلف عن عاداتنا، وتقاليدنا.

والامر السوى، ليس منع هذه المحطات، فـهذا حل النعامة التى تدفن نفسها فى الرمال، فـسوف يكون زمن قريب جدا، لن تكون فيـه حاجة لمحطات بث تقوية أرضـية، واستـعمال اطباق التـقاط ضخـمة، تستـقبل البث، بل سيكون هـناك فى تركيبـة كل تلفاز، جهـاز التقاط خاص، فـماذ سيفـعل اصحاب نظرية النعـامة عند ذاك؟!

هنا يأتى دور العائلة والمجتمع، فى خلق الحصانة الذاتية، تجاه مـاسوف يبث، والضـعيف فـقط، هو الذى يخـاف من المواجهـة، وذلك امر آخر.



الزمان الصحيح

لا اعتـقد ان العـالم بعـد قد اصبـح قرية صـغيرة، بـلا حدود، وبفضل وسـائل الاعلام، كما تنبـأ بذلك احد كبـار اساتذة علوم الاتصال فى العالم، قبل اكثر مـن ثلاثة عقود، اذ لا تزال كثير من القـيود، مـفروضـة على وسـائل الاتصال، سـواء مـا كان منهـا سياسيا، او اقتصاديا.. او حتى اجتماعيا.

الا انه يمكن ان نشير، الـى ان عام 1991، هو العام الذى وضع اللمـسات الاولـي لهذا الاتجـاه، حـينما وضع بـصمـاته الاولى، لتطبيـق تلك المقولة، على مـثل ذلك التصوير، الذى شـاهدناه فى سقـوط اسوار برلين، وفى حرب الخليج، وسقـوط دولة الاتحاد السوفـيتي، ومن خـلال بث اول شبكة اخـبارية عالميـة، ولم يكن صاحب المحطة مخطئا حينمـا قال: أنا الرجل الصـحيح، فى المكان الصحيح، وفي الزمان الصـحيح، وفـعلا لم تكن عبارته بعيدة عن الصحة، الا انها فى الواقع، كانت لا تخلو من مبـالغة وتركيز، كما تركز اللقطة التلفـزيونية المقربة، التى تظهر جـزئية من الصورة، التى تركـز عليها الـكاميرا.. بينـما المخفي يكون شـيء آخر، ولن تتـحقق تلك المقـولة، الا بعـد ان يصـبـح الارسال التلفـزيوني

الدولى واستقباله، بسـهولة التقاط مـحطات الراديو الترانزسـتور.. وعند ذاك، سيـصـبح العالم فـعلا قرية واحـدة.. وهذا الامر ليس بمستـبعد، فتكنولوجـيا الاتصـال المدمجـة، تدمج نفسـها سـريعا بفضل العلم.. حـتى انها اسرع من قصر الليـل والنهار! واسألوا الشركات التجارية فى اليابان!



هذا احبه وهذا اكرهه

أحيانا، وفى نقـاشات الناس الدائرة، على كتابـات بعض كتاب الاعمدة الصحافية، وهم يسـتعرضونها بالاسم، يقول البعض ان الكاتب فلان عظيم، اما علان فأنا لا أحـبه، ويقول البعض الآخر: كلا.. ان الكاتب زيد، أجرأ من الـكاتب عبيد، أنا لا احب عبـيد. اما البعض الثالث فيقول: ان مواضيع الكاتب عمرو، صريحة اكثر من الكاتب سمرو! فما رأيك انت؟!

طبعا كان الجميع يتوقع، ان اجـرى مقارنة، ما بين زملاء مهنة القلم، لأقول مـثلا ان فلان اعظم من عـلان، وزيد اجرأ من عبـيد، وعمـرو صريح وسمـرو جبان، وانا علـى العموم، ضـد مثل هذا النوع، من التقسيمات، والتقييمات، لأسباب أظنها منطقية.

ان كتاب الاعمدة فى الصحف المحليـة، والخليجية، او العربية، هم جـميـعا يندرجـون تحت بند واحـد هو الكتابة.. ولكل كـاتب اسلوبه، ومـواضيـعه، وطريقـته فى الكتـابة، وله قراؤه أيـضا، وليس من المعـقول، ان اطلب من جـمـيع الكتاب، ان يعـجبـوا كل القراء، فى كـل مايكتبـونه، وفى كل وقت، فتلك تصـبح معـجزة، ليس بقـدرة اى كاتب التنطع لها.

قلت، وانا أرقب المائدة تـعد، البـعض يحب السـمك، والبـعض الآخر يفضل اللحم، والثالث نصحه الاطباء باللحم الابيض، اقصد هنا الدجاج، البـعض يفضل المشويات، والبعض يحـب المجبوس، والبعض الثالث ذبحته المرقـة، البعض يحب الرمان، والثانى يحب التـفاح، والثـالث يموت فى الهـمبـة، ناس تفـضل الفسـتق رغم الكوليسـترول، وناس تضيع وقـتها فى اكل حب الفـساد، وناس تحب، وناس تكـره، فـهل من المطلوب مـنا، ان نوحـد امـزجـتنا الذوقـيـة، ونأكل، او نقـرأ فـقط، مـا يـفـضله كل واحـد فـيكم، سـامحـوني انا احب اللخـبطة في الأكل! وأتذوق من كل طعـام، ماحباه الله به، من طعم خاص به فقط!



شر المرورة ما يضحك

فى ظل الاوضـــاع الدوليــة الملتــهــبــة، وفى ظـل تقلب وتلون الاخبــار، والتحليــلات الكثيرة، فــالكل يحلل، ويهلل، ويســبهلل، ويخلط البــهار مع السكر، والملح مع العـسل، وانت مطالب ككاتب وصحــافى، ومتابع يتـعايش مع سلسلة الاحـداث، ان تجيب على اسئلة الماشيين، والقاعـدين، والمارين، فى اى حضـور، او حفل، او حتى مأتم، او ميتم.

والمشكلة لــدى كل اولئك المتــســائلين، بأنــهم لا يعــرفــون، او يعرفون ويتغافلون، عن ان الصحــافة فى عالمنا العربى، لا تعرف اكثــر من طرف انفها، اى لا تعرف الا مــا تبثه لها وكــالات الانباء الغربــية، ومصـــادر الاخبــار الاجنبيــة، بينما مـصادر الاخــبار العــربية، فهــي صم، بكم، عمى، لا تســمـع، ولا ترى، ولا تتكلم، وان نطقت فهو كفر ، وان تكلمت فــهو انشاء، وما أدراك ما إنشاء اللغة العربية، الذى هو منقذها عن قول شــيء ما، رغم كل العبارات والجمل.

وبالتالي، فأن الصحــافي العــربى، لا يملك رؤية تحليلية خاصة به، تنطلق من مــعــرفة حـقيــقــية بما يحـــدث وراء الكواليـــس،

وبالتـــالى لا تصبح كتاباته الصحافية التحليلية، نابعة من وقائع وحقـائق، لأن مـصادر المعلومـات فى بلاده، إما انهـا لا تثق به.. وتلك مـشكلة.. حـيث ان هذا الامر، يعنى خلـل فى تلك العلاقـة.. واما انها لا تملك هى الاخرى، تلك المعـلومات، التى تشكل رؤيتها الخاصة ايضا، وتلك هى مشكلة اخرى، واما ان الصحافى يعرف الحقـيقـة، اكثر من اللازم، لدرجـة انه لا يستطيع نـشرها.. وكل الحالات احلاها مر.. وشر المرورة ما يضحك!!



أين الخلل؟!

طوال ثلاثة اشهر من الكتابة الصحافية، تجد ردود فعل غريبة من القـراء، لا توافق بينهـا، ولا انسـجـام، تقـفز من النقـيض الى النقـيض، الكتـابة هى الكتـابة، والكاتـب هو الكاتب، ولكن ردود الفعل متفاوتة، فأين الخلل؟!

البـعض يقول: هذه الكتـابات تدل على الجنون والغبـاوة، لماذا تلقى بنفسـك الى التهلكة.. إعزف مـوسيقى العـصر، بدلاً من ان تكون نغمة نشاز!

البعض الآخـر يقول: كلا! ان هذه الكتـابات تفتقـد الى الجرأة، نريدك ان تسـخن قلمك، وتكتب، وتهاجم.. و.. ما هذا الجبن؟!

والبعض الثالث يقول: ان هذه الكتـابات صعبة، ويريد الانسان ان يقـرأها اكثـر من مـرة، حـتى يعرف مـاذا يريد ان يقـوله هذا الكاتب.

والبعض الآخر يقول: ماهذه التفاهات التى تكتبها، عن الهمبة.. والبمبر.. والاكل، إحنا ناقصين!

والبعض يقول: عظيم.. والبعض الآخر يقول زفت وهباب!

أين يكمن الخلل.. هل فى الكتـابة والكاتب.. أم فى القارىء.. ام فى الثقافة السـائدة؟!

خوران

لدى كل كـــاتب، أو على الاقل لدى بـعض الكتـاب، نـزعـة، أو هـاجس من الشك، تجاه ما يكـتبونه، هل ما يكتبـه الكاتب يستحق القراءة، وهل له رد فـعل لدى القارىء، أم أن ما يكتـبه الكاتب هو مـجرد فقاعات هوائية، تتلاشـى فى يد اول قارىء؟

هذا الهــاجس، أو هذا الشك، يجعـل الكاتب، يخور كـما يخـور الثور، وهو فى طريقه الى المذبح الـيومـى، والمذبح اليومـى هو عين وقلب وعـقل القارىء، الذى يتـوجـه اليه الكاتب، وبالذات كـاتب العمود اليومـى، تجاه نفسه وتجاه قراءه.

الاسئلة كثيرة، والاجوبة مـقلة، من يستطيع أن يقيس مقدار ما يكتبـه، يقيس مدى منفعـته لقراءه، هل من خـلال التكرار اليومـى ليصبح الكاتب عادة لدى القــارىء، أم من خلال قياس ردة الفعل لدى القارىء.. أم من خــلال الرسائل التى تنهــال على الكاتب.. أو المكالمات الهاتفية.. أم من خلال الصمت.. لا أدرى!

نماذج

ثلاثة نماذج من رسائل وردت اليّ، استعرض لكم من خلالها، نماذج لطبيعة نوعيات من القراء، تلخص الواقع المعاش.

القارىء الاول: ارسل رسالة طويلة، من ثلاث صفحات، يسخر، ويتهكم فيها، على مقال واحد، من 99 مقالاً، تطرقت فيها، الى موضوع صحة المواطن، والمستهلك، وما يتعرض له من ضرر في صحته وماله.. واسلوب القارىء جميل، ويمكن نشره في بريد القراء، لولا ان شجاعته خانته، ولم يضع اسمه على موضوعه، وحسب سياسة النشر في الصحيفة، لايمكن نشر رسالة دون اسم وعنوان.

والقارىء الثاني: هو الآخر، ارسل رسالة مكتوبة على طريقة حكايات ابن المقفع، وهي حكاية جميلة وشيقة، وليس عليها محاذير، ولا عواقب، الا ان القارىء الشجاع، طبع تلك الرسالة، على آلة كاتبة، وبلا اسم ولا عنوان ايضاً!

اما القارىء الثالث: فهو الآخر، بعث رسالة، ينصح فيه الكاتب، بأن يبق البحصة من فمه، ولا يدور ويلف في كتاباته، حتى يضع

الاصبع على الجرح، والقاريء المتـذاكى، هو الآخر يطبع رسالته، على آلة طباعة مجهولة، ولا يذيل رسالته باسم الكريم.

ثلاثة نماذج، تعبـر عن حالة مـرضية، من التـذمر والشكوى.. تقول اذهب وقلمك.. الى الجحيم.. فنحن هنا قاعدون، ولكن اقول مسامحة يا كبكب.. عبالى خناق!



نماذج

أى النماذج أفضل؟ والنماذج المقصودة هنا، ليست «المساطر» كما يقول أهل الشام، ولا «السنابل» كما يقول اهل الخليج، ولا «العينات» كما يقول اهل مصر.

النماذج هنا، عينات من الصحفيين الذين يعيشون مابين المطرقة والسندان، وكل من هؤلاء الصحافيين، يتعامل بطريقته الخاصة، حتى لا يتعرض للتكسير، ما بين هذه المطرقة والسندان.

وتقدم لنا الصحافة المصرية نماذج واضحة، تختزل هذه المعاناة، من خلال عينات من الصحافيين، نستطيع ان نستكشفهم من كتاباتهم.. ودون ان نسميهم.. مارسو هذه الطريقة او تلك، طوال الفترة الماضية.. وربما الحاضرة!

النموذج الاول: مجموعة من الصحافيين، كانت تختلف مع النظام، في فترة حكم عبدالناصر، وكانت تكتب وتنتقد، وتشاكس، وتدخل المعتقل، وتخرج من المعتقل من اجل رأيها، وعندما رحل النظام الناصري، كانت هذه النماذج المعارضة فى حينها، هى اكثر الاصوات دفاعاً عن ذلك النظام! وتقييم ايجابياته وسلبياته من موقع الناقد العاقل.

والنموذج الثـاني: كانت مجمـوعة من العاملين فى الصـحافة، ورغم كرهها لذلك النظام، الا انها كانت تكتب، فى ظل جـبروته، عن كل مـا ليـس له عـلاقـة بهـذا النظام، عن الـعـالم واحـواله، وأرواحه، وغـرائبـه، وطرائفه، ولم تتطرق بقلمـها، من قـريب او بعيـد، الى واقع الحال المعـاش.. وعندما سـقط ذلك النظام، الذى ظلت تكتب في صـحافته، وتنعمت بـطيباته، انقلبت عليه، واغمدت فيه السكاكـين، ودمغته بالارهاب، مبـررة موقفهـا السـابق، بعدم ابداء رأيها، بأنها كانت تريد الاستمرارية بالكتابة، فى ظل ارهاب الدولة، فاتجهت الي ذلك النوع من الكتابة.

والسؤال من هو علـى صواب؟! النموذج الاول.. الذى عـبر عن رأيه فى حـينه، وتعـذب، وشقى، ام النمـوذج الثـانى، الذى تمتع بمكاسب النظام فى حينه، واغمد فيـه الخناجر، اقصد الاقلام بعد سقوطه!



الكتابة فى الميت حرام!

كـثيـر من الاصدقـاء، والاصحـاب، والقـراء يتسـاءلون: اين كتاباتك؟ اليس من المفترض، فى كاتب مثلك، ان يكتب على الاقل، ولو مقـالا فى الشهر! وكنت اتعلل فى اجـاباتي على تساؤلاتهم، بمشـغوليـات العـمل الاداري، او بتعليـلات مـالها فى البـال من حسبان، تأتى من وحى اللحظة!

وفى الواقع، فإن تلك التساؤلات تسـعدني من جهة، لأن هناك لا يزال من يتذكر من يكتب ماذا، وكـانت من جهة اخرى تؤرقنى، لدرجة الالم، فالكاتب عندما يبتعد عن قلمه، يعانى معاناة امرأة لا تنجب، الكاتب بـدون قلم، ولا ورقة، ولا قـارىء، كـالارض بدون ماء، ولا زرع، ولا ثمر.

الكتابة بالنسبة لى مقدسة، لا تخضع للحرفنه، بقدر ماتخضع فى جوهرها لها جسين، الأول، ان يكون لدى الكاتب شـيئا يقوله، ليس للإسـترزاق، فـحصـيلة كبـيرة مما هو منشـور حاليـا فى الصحـافة العربية، يـندر ج تحت بند لقمة العـيش، والدليل بأنها كـتابـات بلا لون، ولا طعم، ولا رائحـة، ولا قراء، امـا الهـاجس الثاني، فهو ان يـكون الطرف الثاني، اكثر فهما، وتـقبلا لما اقوله،

اقصــد ليس قبـولا فى وجهــة النظر، وانا لا املك الحقـيقـة كلها، ولكن تقبلا فى مبدأ الحوار.. والرأى، والرأى الآخر.

اما العلة الثالثة، وكثير من العــاملين فى الصـحافة يجهلونها، او يحاولون تجاهلها، فــأن الكتابة، وابداء الرأى، تتطلب فى خبرتي المتواضعة، ان تكون لدى الكاتب «المعلومات» و «التجربة العميقة» و «وجــهــة النظر» الخــاصــة، التى تعــرف مــا تريد، فى خـضـم عــواطف، وانواء عصــرنا الراهن.. وكل هذه الامور مــفقـودة فى عالمنا الصـحافى العربى.. وبالتالي كنت اؤمن بأن الكتابة فى الميت حرام!



صحافي.. ولد..!

أن تكتب.. يعني أن تكون مطالبـا في ظل مجـتمعـاتنا الراهنة، بحمل كل هموم، وشجون الافـراد، بمختلف فئاتهم، واينما تولى وجهك، فسوف يصادفك أمرين.. أو أمرّين لا فرق، أحلاهما مر.

الرأى الاول يقـول لك: لماذا لا تكتب عـن القضـيـة الفـلانيـة.. والعلانية.. و.. و.. وهل انت جبان؟

والرأى الثاني، يقول لك ايضا، لماذا كتـبت عن القضية الفلانية، والعـلانيـة.. الا تخـاف من ادخـال اصـابعك، الى عش الدبابيـر! والادهى من ذلك كله، انك ان كتبت عن تلك القـضية، قيل لك بأنك طائش، ومـتـهـور، ولا تقدر الاوضـاع حق قـدرها، وان قـدرت الاوضاع حق قـدرها، ولم تكتب، فـسوف يقال لك، بـأنك خواف وجبان، ولقد تم شرائك.. كأنه بقيت فلوس للشراء والبيع!

والمهم، انك كصحافي، ستكون متهم في كل مكان وزمان، حتى تكتب مـا يريده كل قـارىء، وإن رأيه الذى يقـوله، او قـضيـتـه الخـاصـة التي تؤرقـه، هي قضـيـة المجـتـمع الاولى، وعليك ان تنشرها عـلى جميع اعـمدة الصحف، دون ان تـشير الى اسـمه، وعنوانه، من قـريب او بعيـد.. وتتحـمل لوحدك، أى مـسؤوليـة قانونية.. فأنت صحافي.. ولد.

القدر المشؤوم

عندمـا امـسك القلم، لأكـتب بعـد عـشـرين عـامـا من العـمل الصـحـفى، احس بأنى اكـتب كـمن يمسـك القلم لأول وهلة، ان تكون صـحفى هو قـدر مشؤوم، وقديما وصفوا فأبدعـوا، حينما قالوا بأنه تعاطى حرفـة الادب، والتعاطى لا يكون إلا إدمان، وهل يكون إدمان اسوء من ادمان الصـحافة فى عالمنا المعاصر.

الصـحافـة هى روح، يكون الله قد اعطاك الموهبـة فيـها، مـثل موهبـة القاص، والشـاعـر، والرسام، الله يعطيك الموهبـة، والعمل الشاق يشكل فيما بعد 98٪ منها.

وان تكتب يعنى ان تكون يدك بيضاء، ليس لك غرض شخصى فيما تنتقده! وان يكون قلبك حاراً متدفقاً بحرارة الموضوع، الذى تكتب منه وعنه، وان يكون عـقلك بارداً، تفكر فى مصلـحة وطنك والناس، لافى مصلحة عـائلية، او فئة طائفـية، او مكسب دنيوي، وان تكون كالقاضى، وما ادراك مادور الـقاضى، فى عصر سيف المعز وذهبه، وفى روح القطيع السائد، الكل يريدك ان تكتب مايود أن يسمعه.

وان تكتب، يعنى ان يتـقبل اهلك وناسك مـاتكتب، وانت تكتـبه بحـسن نية، وسـريرة طاهرة، وقديما قـيل رضا الناس غـاية لا تدرك!

حوحوة

يذكرني بعض القـراء ، ونظرتهم لبعض الصـحافـيين ، بذكرى صبـيانية كنا نقوم بممـارستهـا، فى عهد الفرجـان القديمة التى هجرت ، ونرى مـحاولة احياء هذا التراث الصبياني، على صفحات الصـحف .

وفى ايام زمان ، كـان فى براحة كل حى، مكان لكـلب الفريج ، وعادة مـا يكون الاطفال الصغـار قد قطعوا ذيـل هذا الكلب، حتى يصبح شـرساً ، وربما قطعوا جـزءاً من اذنيه أيضـاً، حتى يزداد شراسة ، ويصبح معلم من معالم شراسة صبيان هذا الفريج .

وعندما تحين السـاعة المناسبة ، يـبتدأ التحـريش بهذا الكلب ، ضد المارة الابرياء ، أو ضد صبيان الاحياء الأخرى ، او من خلال تحريشـه بالكلاب الاخرى ، وكلمـا كانت حـوحوة الكلب عـالية ، وتحرشه بالآخرين خشنة ، كلما زاد الاعجاب بالكلب ، وحاز على السمعة الحسنة بخشونته .

اما اذا لم يقم الكلب، بـدور التحرش المطلوب منه ، والذى يثـير اعجـاب الصبـية ، فـستـتم «تغوية» الكـلب الجبـان .. الخواف ..

وتســريبه الى البـر .. او الى البــحر .. أو اهمــاله حتى يهـرب من الجوع .. حسب قسوة قلوب اولئك الصبيان .

بعض القراء يطالبون بأن يقوم الصـحافيين بدور الحوحوة .. والا قطعوا ذيله حتى يزداد خشونة .. وحوحوة!



دليل القارىء الذكى

اذا اراد القارىء الذكى أن يعرف مدى ديمقراطية الذين ينادون ، أو الذين يكتبون من ديناصورات المحاربين القدماء عن الديمقراطية ، والذين تحولوا بين ليلة وضحاها، من اقصى الديكتاتورية الى اقصى الديمقراطية، عليه ان يضع هذه الديمقراطية المتأخرة على محك الاختبار .

ومحك الاختبار ، هو ان يكون لك حرية فى أن تملك رأياً مخالفاً ، لرأى هؤلاء المنادين بالديمقراطية المفصلة على ذاتهم ، فعند ذاك سوف تكتشف بأن ديمقراطيتهم، هى فى الواقع، دكتاتوريتهم القديمة، التى البسوها ملابس الديمقراطية .

ولن يكون رأيك المخالف لهم، هو رأى قد نختلف معه ، ونفنده بالحجة والمنطق، للوصول الى الرأى الصحيح ، لصالح المجتمع والناس ، ولكن سوف تكتشف مفردات المحاربين القدماء قد خرجت من قلوبهم حارة ، تنهال عليك ، خائن ، عميل ، متساقط ، انتهازى ، رجعى ، برجوازى ، امبريالي ، ... الخ .

وأين الديمقراطية إذن ؟ وأين الحرية إذن ؟ عندما كتب جون بول سارتر مسرحيته الأيدى القذرة فى الاربعينات ، يصف حال

المحـاربين الذين لم يكونوا عند ذاك قـدماء .. كـان يضـع يده على الجرح، ويـكتشف قـبل الآخرين بأربعين عـاماً ، بأن المحـاربين الذين صـاروا قدماء ، لن يـتغيـروا .. وان الرجل العجـوز يموت وتموت عاداته معه، مهـما نادى بالديمقراطية، لانه رضع وتربى على الدكتاتورية !



أسلوب وأسلوب

ذهبت الى زميل المهنة ـ الله يعطيه العافـية ـ الاستاذ ابراهيم حسن كـمال، وأنا قادم بطموح واندفـاع الشباب، لأتفاوض مـعه لأتولى إصـدار مجلة المجـتمع الجـديد، والذى كان يملك امـتيـاز صدورها فى السبعينيات، قبل أن تتوقف فيما بعد بشكل نهائى.

والذى يعـرف الاسـتـاذ ابراهيم حـسن كمـال، ودمـاثتـه فى الحـديث، ويعـرف اندفاعـى، وأحيـانا رعـونتى، لايسـتطيع ان يتصور، كـيف يتفق الابراهيمان.. المهم تم النقاش حول كـثير من النقاط المالية والتفصيلية، ووصلنا الى نقطة تحديد سياسة المجلة فى تناولها للأمور، وكان الاستاذ ابراهيم حسن كمال، يشرح لى وجـهة نـظره، فى اسلوب الكتـابة، والنقـد والانتقـاد، قـائلا: يا ولدى.. اذا شـاهـدت انسـانا، يلبس قـميصـا لايناسبـه، أو منظره قبيح، فهناك اسلوبان لقـول رأيك، الأول ان تقول له، هذا القميص الذى تلبسه، قـميص قبيح اللون، كريـه، لايناسبك، ومن الافضل لك ان تغـيـره، والاسلـوب الثـانـى أن تقـول له: أليس من الافضل، والاجمل بالنسبة لك، لو كنت تلبـس قميصا، ذا لون آخر

يناسبك، وتقول له مثلاً: إن اللون الأزرق يناسب بشرتك بصورة أفضل.

وأضاف يكمل حديثه: وأنا اميل الى الاسلوب الثانى، فهو اقرب الى طبيعتى..

وتطلعت اليه، لا استطيع ان اقول لشخص فى مقام والدى، وأنا بطبيعتى المندفعة النقدية، أميل الى الاسلوب الاول، واقول للأعور أنت أعوْر! فى عينه الواحدة فسكت، وواصل حديثه قائلا: وطبعا سيكون ابنى حسن، هو المسؤول المالى عن المشروع.. ووجدتها فرصة فقلت لنفسى.. أنا وين وحسن وين.. ثلج ونار! ولم ينجح المشروع!



حروفيات

تنسب الى الامام محمد عبده مقولة، تعبر عن كفره بالسياسة، بعد فشل الثورة العرابية، حيث قال: لعن الله كلمة ساس، ويسوس، وحرف السين، وكل مشتقات السياسة.

ويروي أحد الكتّاب العرب، بأنه كان يعمل معهم أحد الصحافيين، الذى كان هو الآخر يتضايق من كل عبارة، تصب فى نفس سياق مقولة الامام محمد عبده، لكن مطبقة فى عالم الصحافة بشكل مختلف، فهو يبتعد عن الدال كحرف، وليس كعدس، ومشتقات حرف الدال، وهى الدين، والداخلية، والدفاع!

. وأضاف ذلك الصحافى العربى معلقا: ولقد توسع العاملون فى الصحافة العربية، فى إضافة المشتقات الامنية الاخرى، فبالاضافة الى السياسة، والدين، والداخلية، والدفاع، يضاف الاقتصاد، والخارجية، والاعلام، والنفط، و... يمكن إضافة كل سين، او دال جديدة، حسب الحقبة الزمنية، ومتطلباتها الحروفية!

نجاح

ان اللغط، والحديث المتواتر عما يكتبه اي كاتب، إنما يدل إن دل على شيء، بأن طبيعة البشر مختلفة، ورؤيتهم للأمور، وتقييمها هو الآخر يتم باختلاف، وليس في هذا الكلام بشيءجديد . . الا إنه لا يزال محور نقاش.

ويوضح القصاص المشهور جى.دى موباسان هذه العبارة قائلاً: الواقع الجمهور يتكون من مجموعات عديدة تصرخ:

- متعني!
- اضحكني!
- إجعلنى حزيناً.
- إجعلني ارتعش.
- ابكني.
- دعني أفكر.
- نخبة ضئيلة تناشد الكتاب: اصنعوا شيئاً جميلاً، بالشكل الذي يكون أفضل لكم، وفقاً لمزاجكم.

المبدعون يحاولون، قد ينجحون أو لا!

فراش الزوجية

كلما امسكت القلم، كلما تذكرت حكاية أوربا فى القرون الوسطى، حيث انه فى ذاك الوقت، وفى ظروف سريان حرمة الطلاق فى الدين المسيحي الكاثوليكي، ابتكرت النساء اللواتى يردن التخلص من أزواجهن، طريقة بسيطة تتلخص بتقديم شكوى كيدية، الى محكمة خاصة، يطعْن فى ذكورية أزواجهن، حيث يقلن أن الزوج يعانى من العجز الجنسى، ولا يستطيع ان يقوم بمهامه الزوجية المطلوبة منه!

وتصدر المحكمة أمرها للانعقاد، للتحقق من هذه الشكوى، حول فراش الزوجية، حيث على الزوج المتهم، أن يثبت قدرته الذكورية، فى مواجهة تهم الزوجة، والطاعنة فى تلك القدرات!

وعلى فراش الزوجية، تعقد المحكمة جلستها للنظر فى القضية، موضوع الاتهام، والمكونة من قاضى المحكمة، ومن قاضيين مساعدين، ومن سكرتير المحكمة، والحاجب الذى يعلن بدء الانعقاد، ومن الشهود، ومن المحلفين، والكل ينتظر، وهو يراقب الزوج المطعون فى ذكوريته من قبل زوجته، حتى يثبت قدرته الجنسية، أمام كل تلك العيون المراقبة!

فأى قدرة نفسية للزوج المسكين، لكى يستطيع ان يقوم باثبات فحـولته، أمــام كل تلك العيـون المراقبـة، وأى اثبات يســتطيع ان يقـدمه فى تلك الـلحظة، على براءته من التــهمـة الموجـهة اليــه.. والنتيــجة طبــعاً ســتكون الفشل الذريع من نصــيبـه.. أمام دهاء الزوجـة الماكـرة.. والتى تنجــح فى النهــاية، فى الحـصــول على الطلاق، بعد ان زرعت الفشل فى ذهن الزوج!



القرد والقطة

فى بدايات السبعينيات، وعندما كانت منطقة الخليج بكرا فى تطلعاتها الاستقلالية، وفى طموحاتها، تكالبت الزيارات الصحفية، وغير الصحافية على هذه المنطقة، والكل زائر الخليج لغاية فى نفس يعقوب.

وعندما يقول المثل، ان النيات الطيبة تقود لجهنم، فى بعض الاحيان، لم يتم استخلاصها من فراغ، بل من تجارب وعبر، وكان من هؤلاء القادمين، صاحب جريدة سياسية، يبحث وينقب عن طموحات ديمقراطية، وتطلعات شعوب المنطقة، وكان ينشر ويبرز، صور أصحاب ذوى النيات الطيبة، يدلون له بالاخبار المنوعة، والتصورات الاخرى، وكان صاحبنا ينشرها بالبنط العريض.. وبالاسماء والصور.. وكأنه المنافح عن الديمقراطية.. والمعارضة.. والحرية.. ولكن يقولون اذا عرف السبب بطل العجب!

والسبب، الذى لايعرفه ذوى النيات الطيبة، وانجرفوا وراء ظاهرة النشر والحرية، بان صاحب تلك الجريدة، يريد ان يقول للأنظمة كم سوف تدفعون لى.. واسكت!! ألا تذكركم هذه

القصــة.. بقصــة ذلك القرد، الذى اســتعـمل أصابع القطـة، حتى يســتخــرج الكستنــاء المشوية من النار.. فـيأكـلها القــرد بالـهناء والشفاء.. وتحترق اصابع القطة؟!

وطبـعا القــصة لم تكتـمل بعــد، فلا يزال كـثيــر من نفس تلك النوعية من الصـحافـيين يمارس نفس اللعبة، ولكن باسلوب آخر، وبدلا من نشــر الآراء المعــارضــة .. اصــبـحـوا ينشــرون الآراء، والمقالات، والموضوعات المدبجة بالثناء والمديح!



تفسير وتفسير

لم اضـحك بقدر مـاضـحكت، من تفسـيـر أحد القـراء لحكاية الثعلب والأفـيال ، لقد اتصل بى أحد القـراء متسائلاً ، عن مـاهية مغزى تلك الحكاية ؟ فـقلت له، إن المغزى هو مايفهـمه كل قارىء، حسب مستواه الثقافى ، فالكاتب ليس ملزماً بتفسير كل مايكتبه ، وإلا علينا، ان نوقظ ابن المقـفع من قبـره ، ليفـسر لنا مـر موزاته الحيوانية، كلما استعصى علينا فهم مرامه .

الا أن القارىء اصر، على معرفـة ما أرمز له ، فقلت له أيضاً أن الكاتب ، عندما يكتـب، فأنه يلتقط المغـزى العام، لواقعة مـحددة ، لكى تصـبح صالحـة لكل زمـان ومكان .. وليس ذنب الكاتب ، إن قام أحـد ما ، بإسـقاط مـايقرأه ، على واقـعه المعـاش ، سواء فى زمنه، او فى الازمنة اللاحقة .

وواصل القارىء ،اصراره عـلى طلب الشرح والتفسـير ، فقلت له، اخبرنـى ماالذى فهمتـه من حكاية الثعلب والافيـال، فقال : ان الثعـلب ، الذى لعب مع لاعبين من غـير جنسـه ، ولا من حجـمه ، وهى الافيال ، قد اصيب بالأذى من جراء ذلك .

قلت له : ذلك بعض ماتقوله الحكاية !

فقال : أنت تقصـد هنا ، «النادى الفلانى» فى لعبه مع «النادى العلانى» ، وهنا لم امنع نفـسى من قهقهة ، لم اضـحكها منذ زمن بعيـد ، فأنا قد تركت الرياضـة منذ دخل فى مرماى سـتة اهداف منذ زمن بعيـد ، وصـفحـة الرياضة، هى الصـفحة الوحـيدة التى لاأقـرؤها ، والمباريات فـى التلفاز هى عـدوى اللدود ، وحـتى لم تنفـع كل مـحـاولات الاهـلاوية والزملكـاوية، من جـري الى مبارياتهما في القاهرة .. وحتى من دفعي للذهاب لتخفيف الوزن!

وواصل القـارىء اصراره عـلى اتهامى، بأنـى اقصـد «النادى الفلانى» ، وواصلت اصراري على ان ذلك الخاطر هو آخر ماكان يرد على بال الكاتب .. فمن هو المسؤول ؟!



قراء

ثلاثة نماذج من رسائل وردت اليَّ، استعرض لكم من خلالها نماذج لطبيعة نوعيات من القراء تلخص الواقع المعاش.

القارىء الأول: ارسل رسالة طويلة من ثلاث صفحات، يسخر، ويتهكم فيها على مقال واحد من 99 مقالا، تطرقت فيها الى موضوع صحة المواطن والمستهلك، وما يتعرض له من ضرر لصحته وماله.. واسلوب القارىء جميل، ويمكن نشره فى بريد القراء، لولا ان شجاعته خانته، ولم يضع اسمه على موضوعه، وحسب انظمه النشر فى الصحيفة، لايمكن نشر رسالة دون اسم وعنوان!

والقارىء الثانى: هو الآخر ارسل رسالة، على طريقة حكايات ابن المقفع، وهى حكاية جميلة وشيقة، وليس عليها محاذير، ولا عواقب، الا ان القارىء الشجاع، طبع تلك الرسالة على آلة كاتبة، وبلا اسم ولا عنوان ايضا!

اما القارىء الثالث: فهو الآخر بعث رسالة، هى الاخرى ينصح الكاتب فيها، بأن يبق البحصة من فمه، ولا يدور ويلف فى كتاباته، حتى يضع الاصبع على الجرح، والقارىء المتذاكى هو

الآخر يطبـع رسالته، على آلة طابـعة مجـهولة، ولايذيل رسـالته باسمه الكريم!

ثلاثة نماذج، تعـبر عن حـالة مرضيـة من التذمـر والشكوى..
تقول اذهب وقلمك.. الى الجحيم.. فنحن هنا قاعدون، ولكن اقول مسامحة «ياكبكب».. عبالي خثاق!



بيوت من زجاج

يبدو ان الصحافيين، الذين هم اكثر الناس انتقاداً للآخرين، هم اكثر الناس الذين بيوتهم من زجاج، والادلة على ذلك كثيرة، وهى تظهر يوماً بعد يوم.

فى الصين، ما زال الصحفيون الصينيون، يتقاضون رشاوى سخية، نظير حضورهم المؤتمرات الصحافية، حيث ان احدى المؤسسات دفعت 26 دولاراً، لكل واحد من الصحافين، الذين حضروا مؤتمرها الصحافى، من خلال ظرف احمر صغير، يحتوى على المبلغ.. واللون الاحمر، ربما للتذكير بالفقيد ماوتسى تونغ، ولذا حذرت دائرة الترويج للحزب الشيوعى، من عدم ضرورة اقامة خط فاصل بين الاعلان والاعلام.

أما فى ايطاليا، فأن الفساد يبدو انه لم يصل الى البابا فقط، فلقد عم الاولى والتالى، وابسط مثل على ذلك، ان اسرة فيروترى، قد خططت حملة رشوة، بمبلغ 700 الف دولار، لتستميل كبار الصحافيين، من ذوى النفوذ فى الصحف الايطالية، كما قد تم اكتشاف قائمة، بأسماء الصحافيين، الذين استلموا دفعات حالية، فى مسلسل فضائح الفساد.

لقد دفـع هذا الامر، بأحد الـصـحافـيين البريطانيين، الـى نشر مقـال تنـاول فـيـه عينـات مـن فـساد الصـحافـيين فـي ايطاليـا، واطلـق عليـهـا بالمصطـلـح الايطالـي عـبـارة الاقـلام غير االنظيفة PENNE SPORCHE.

الا ان بضعـاً من الصـحافيين الايـطاليين، ردوا قائلين، ان هناك بين الصحافيين من هم فاسدون، ولا يسـتطيعون مقاومة الهدايا، ولكن دعونا الا ننسى ان آخرين، يسـاهمون في تعرية العديد من الحقائق غير المريحة، التي تحاول السلطات دائماالخفاءها.

ولقد وضّح احد كبار الصحافيين الايطاليين، الفرق بين الرشوة والهدية، قائلا: بعد ان اجريت لقاءً مهـماً، مع احد كبار المعماريين، ارسل لي هدية تذكـارية، وعندما فـتحـتهـا، وجدت فـيها قطـعة ذهبية، تساوي عشرات الدولارات، فماذا كان علي ان افعل؟ وهل يجب علي اعادتها له؟ بالطبع لم أفعل!

لا ادري مـاذا سيكون مـوقف بعض الزمـلاء من الصـحفـيين العرب.. اعتقد انهم قلة.. فهم لا يرتشون.. ولا يداهنون..!!

اعلام

مسكين كليـنتون.. رئيس الولايات المتحـدة الامريكيـة، عندما واجهـته مـحطات التلفزيون الرئيـسية، برفـضـها لـنقل مؤتمره الصـحافى، وذلك بحجة انه لا يدلي بتصـريحات كافية، ولا يجيب على الاسئلة بوضوح وصراحة.

وبالفعل لم تنقل تلك المحطات الثلاث المؤتمر الصـحافى، ونفذت قرارهـا، وحينهـا اعلنت المتحـدثة باسم البيت الابيض، عـن عدم ارتياح كلينتون لمقاطعة محطات التلفزيون الرئيسية لمؤتمراته.

وكان كلينتـون قد اختـصر مؤتمره الصـحفى، فى تعبـير عن غضـبه، بعـد سؤال واحـد، وجهه مـراسل الـ إن. بى. سى الذى سـأله: لماذا هـناك تذبذب فى اتخـاذ الـقـرارات فى داخل الادارة الامريـكية؟ ورد عليـه كلينتون غـاضبـاً: كيف يمكنك ان تـسأل سؤالا كهذا، وادار ظهره، وترك المنصـة رافضاً المزيد من الاسئلة.

ويواجه كلينتون، انتقادات حادة مـستمرة، من وسـائل الاعلام الامريكية، التى تتهمه بالتردد، وعدم القدرة على اتخاذ القرار.

الا يرسلون هؤلاء الصـحافـيين المشـاغبين فى «كـورس» الى بعض البلدان العربية حتى يتأدبوا!

اكتئاب

لنقرأ. التوهم، والاحباط، والاكـتئاب والانهزام، والنياط، ولطم الخدود، والدمـوع، والميلودراما التى خـلقها لنا المـرحوم يوسف وهبى، والكبريت اللى زى شرف البنت ما يولعش الا مرة واحدة، والاغانى التى تصيب القلب باليـأس من الغرام والفراق، والافلام المحبطة، والقـتل، والقتال، والجوع، والمجـاعة، ولم يبق شىء فى هذا العالم يدعو للفرح.. أو الأمل للكتابة عنه.

ولم يبق عمـود، أو كتابة صـحافـية، او مقـالة لكاتب، لا تجده يلطم على خده، وخدود القراء، وأصبحنا جميعاً وعاظا، ولا واعظا من القـرون الوسطى، أو مـن أولئك الفـقـهـاء الذين لا تتـجـاوز ثقافتهم ثقافة التخويف من عذاب القبر.

أينمـا وجهت ناظريك، سـوف تجد هذا الكم الهـائل من الوعظ والتـخـويف، والاحبـاط، والحـزن، ونكران الابن لأبيـه، والبنت لأمها، والجـار لجاره، و الصدىة. اصـدىقه، والمحبوب لمحبـوبته، والدولة ا -كوم،

وا'

أو برـ ى

الاقل مـقـالة نفـسـ ـ ،ـسـئـابكم

وإحـباطاتكم.. وانيـرونا بشمـعة تـبعـد الظلام عن عيـوننا..الله يخليكم!

حامل الرسالة

صحيح.. الى اى مدى تساهم الصحافة فى الترويج للأفكار الخاطئة؟ أو بث الافكار المتضاربة عن المخاطر الصحية.. وأبسط مثل على ذلك، هى تلك الفتاوى الصحية الكثيرة المتضاربة فى صحتها.. ففى كل يوم تقول الصحافة لا تأكل هذا.. بل أكل هذا.. وبعد فترة تقول لا تأكل ذلك.. ولكن أكل ذلك.. والقارىء المسكين لا يدرى من يصدق.. هل يصدق هذه المخاطر الصحية التى تبرزها الصحف.. وتثير فيهم الرعب بين حين وآخر؟! أو يصدق التقارير التالية التى تناقض ما قد نشر سابقا؟

لقد طالعتنا الصحف، بالأخبار المتواترة، والمتضاربة، بدءا من قصة الهواتف النقالة، التى تسبب المضار فى الدماغ.. حتى أضرار خلاصة مرق الدجاج، ولا ندرى كيف يستطيع القارىء، أن يتعامل مع هذه الافكار والاخبار.. وبالذات ان كثيراً من هذه الاخبار، ليست خالية من الاغراض التجارية، خصوصاً فى قضايا الزيوت.. فمن الزيت الحيوانى، الى الزيت النباتى.. الى زيت الزيتون.. الى المارجرين والزبدة المصنعة من دهون نباتية، والتى تتحدث التقاريرمؤخرا عن مضارها ..الخ

ماذا يصدق القـارىء المسكين.. ما نشر قبل سـنة؟! او ما نشر قبل ستة أشهر؟! او ما نشر فى صحيفة اليوم؟! أو ما سينشر فى الغـد؟!. ولكن السؤال هـو هل يحاسب الرسـول على مـا ينقله.. ونعاقبه.. أم للرسول مستلزمات هو غير مسؤول عنها؟ هل يجب علينا كصحافة ان نلاحق مثل هذه الاخـبار والتقارير ونتأكد من صحتها؟ وكيف نستطيع أن نتأكد من صحتها؟! مرة اخرى أليس من الضرورى وجـود جمعيـة حماية المسـتهلك؟ لقد صار اكـثر الحاحا من أى وقت مضى؟!



حرية الفكر

تثار الآن فى اروقة جامعة القاهرة قضية حرية الفكر، بين استاذ تقدم بابحاثه، وكتبه العلمية، للحصول على الترقية، وبين قرار مجلس الجامعة، الذى قاده استاذ آخر، معترضا فيه، على آراء وكتابات الاستاذ الأول، المختلف عنه فكريا.. والقضية لا تزال ساخنة على صفحات الصحف، وفى اروقة الجامعة.

وأعادت هذه الحكاية الجديدة، بعض حكايات عن «نوعية» من الاساتذة، فى رؤيتهم لادارة الحوار، ورؤية الطرف الآخر، وكنا فى سنوات الجامعة، بعض التلامذة من البحرين، والسودان، واليمن، وكنا نحاور، ونجادل الاساتذة، حتى صرنا فى نهاية الامر، نحن الشاذين عن القاعدة، فكان استاذ المادة التى ندرسها، يدخل الفصل، ويضع كفه على عينيه، كمن يبحث عن شيء ما، ثم يقول متسائلا: فين دول المشاكسين.. اللى بيسألوا أسئلة كثيرة.. وبيناقشوا كثير!

تصور، انك تدمغ بالمشاكس، فقط، لأنك تسأل فى حرم فصل الجامعة، أما الاستاذ الآخر، فكان يعطينا مادة المجتمع العربى.

وكـانت كلمـتـه الخـالدة التى لن ننسـاها: أنا مش عـاوز حـد يتـفلسف علـى ويجـيب لـى آراء تانيـة.. اللى فى الكتـاب ده «تصـموه».. واللى يجـيب كلمة تانيـة حيـسقط فـى الامتـحان.. فاهمـين! ولا نجد أمامنـا خيارا، الا ان نردد مـعه ونهـز رؤوسنا كالحمير قائلين : نعم.. نحن فاهمين يا دكتور!



المتسللة الفواحة

الكثـير من المشاهديـن انتظروا مسلسل مـحفوظ عـجب، ذلك الصحافي الذى يجسد شخصية الانتهازي، المتسلق، الذى يتعامل من تحت الطاولة مـع جـمـيع الاطراف، حكم ومـعـارضـة، يمين ويسـار، مـخـابرات وشـرطة، دول وحكومـات، على مـخـتلف العصور، للوصول الى هدفه الشخصي.

وكاتب الـعمل صحـافى، يحاول ان يسـتخلص من كـل مافى نماذج الحيـاة حتى يجسـدها فى رموز، تكثف وتلخص مـختلف فئـات الناس، وتجـسدها فى شـخصيـة الانتهـازى الصحـافى محفوظ عجب.

وطبعا لست هنا فى مجال الدفـاع عن الصحافة، والعاملين فى الصحافة، فإلقـاء الضوء على هذا القطاع واجب، لإزالة الهالة عن جزء من هذا القطاع، الذى فيه مافى غيره من جوانب مظلمة.

وفى كتـاب صدر تحت عنوان المرشـد الى الصحـافة، وهو فى الحقـيقة المرشـد الى عالم المخادعين كـما يسمـية المؤلف، والذى يستعـرض فيه بإسلوب ساخـر، نماذج مختلفة من الصحـافيين المخادعين الذين يؤمنون بشعـار (طالما تستطيع ان تخادع الناس، فأن المكافآت الاخلاقية والفكرية والمادية ستكون لك).

ويرى مؤلف الكتاب نايجل فوسترب بأن الصحفيين ينقسمون الى سبعة انواع منهم: المتسللة الفواحة، وهى صحافية انثى، كثيرا ماتكون متكتمة عن كيفية حصولها على وظيفتها، والآنسة (السيدة) المعتدة بنفسها، الحائزة على درجة جامعية عديمة الفائدة، ويواصل الكاتب استعراضه للصحافى الذى يظل راضيا بأن يكون مساعداً للأبد، وذو الاتجاه المفرط الذى يدعى بأنه على اتصال بأحدث البدع، والازياء، والقيل والقال، وبشعور الآخرين.

ويرى فوستر، بأن هؤلاء كلهم مخادعون، ولكن ما يميزهم اعتقادهم بأن كل فرد منهم على حدة أعظم كاتب صحافى فى العالم.

وعلى هامش الموضوع، نتطرق الى فضيحة رشوة أحد أشهر صحافى فرنسي، وهو مذيع القناة الأولى فى التلفزيون الفرنسى باتريك بوافر دارمور، الذى اتهم بالحصول على حوالى مليونى فرنك، على شكل دعوات مختلفة، يرفه بها عن نفسه بالر حلات على الطائرات الخاصة، وبالدعوات الى الكوت دازور وسان تروين والمطاعم الفخمة.. واحنا يبون يرشونا بقلم بدينار ونصف.. والا «بارسل» كباب بدينار! شفتوا الفرق شكثر صحافتنا رخيصة!

مجانين

تصور ، وهذا التصور لا يمكن أن نطبقه نحن على الصحافة العربية، والاعلام العربى، فلا يمكن ان نسمح لقلة من القراء العرب، أن يقولوا لنا، فى وجوهنا، وعلى صفحات صحفنا بأنهم ملوا منا، وانهم يرفضون عمليات التغرير، والخداع الاعلامي، الذى ننصب حبائله كل يوم، ونحن ندس بين طياته العسل والسم.

كما اننا، لا يمكن ان نسمح، او نرضى، بنشر الاحتجاجات، والمناشدات من القراء، الذين يطالبوننا، بتوخى الدقة، ويصرخون قائلين: سئمنا.. مللنا.. ضجرنا من أخباركم، وتحقيقاتكم، ومقالاتكم.. واعمدتكم.. ولن نبقى ساكتين.. ونحن نشعر بالغضب، تجاه ما نشاهده، ونقرؤه، من حوادث، واخبار، وصور تفتقر الى الحقيقة.

هذه النوعية من القراء، ولله الحمد، لاتوجد فى عالمنا العربى، بل هى مجموعة لا تصلح لهذا العالم العربى، بل لا توجد اصلاً، مجموعة فى هذا العالم العربى، تستطيع قول مثل هذا الكلام.. فليس لها والله الا العصا لمن عصا.. فهذه حكمتنا الخالدة فى العالم العربى.

أما هذا الجنون والمجانين، فلا يوجد سوى فى الولايات المتحدة الامريكية، التى تقوم حاليا، مجـموعة من القراء، بقيادة حملة فى الصحـافة الامريكية، تهـاجم جميع وسـائل الاعـلام قائلين: نحن قراء الجـرائد.. ونحن مـشاهدى التلفـزيون.. ونحن مسـتمـعى الاذاعات.. نقـر ونعترف، ونحـن بكامل قوانا العقليـة، اننا زهقنا مما تقدمونه لنا، واننا نرفض عمليات التغرير، والخداع الاعلامى.

ويقول اصحاب العريضة الامريكان: قررنا الا نسكت من بعد، على طريقتكم فى ايراد، وعرض الاخبـار، والآراء، بكل مايعتريها من سلب، وتهجـم، وتشويه، وانحيـاز.. صحيح اننا لـن نستطيع وحدنا، ان نغـير هذا الوضع، لكننا نتـصور، اذا اتحـدنا جديرون بهذا التغـيير، لهذا نطلب الى كل قارىء لإعـلاننا هذا، أن يسـاعدنا فى اعادة نشره، فى كل الصحف، على مستوى امريكا بأسرها.

ألم اقل لكم انهم مجانين امريكا.. وليس عقلاء العالم العربى!



مفسدة

بعض الكتاب، يكتب، وقلمه ينساب على الموسيقى، التى يحب ان يسمعها المسؤول، وبعض الكتاب، يكتب لكى تصبح الامور فى الواقع العملى، ابدع مما هى على صفحات الصحف، بعض الكتاب يطبل، ويبخر، ويزمر، ويصفق لما هو سائد وموجود، وبعض الكتاب لا يرى، ولا يسمع، ولا يتكلم، ولا يكتب، بعض.. وبعض.

ماهو دور الكاتب؟ وما هو المطلوب من الكاتب، وماهو المطلوب من المسؤول؟ ماهى الشعرة الدقيقة التى تفصل بين الكاتب والمسؤول؟ وماهى النقطة التى يلتقى عندما الطرفان، والتى يفترقان فيها ايضا.

المسؤول فى اى منصب، هو سلطة عامة، والسلطة مغرية فى العالم كله، والامثلة كثيرة، والكاتب هو ضمير عصره، وضمير المجتمع، وضمير نفسه، وكما السلطة مفسدة، فالصحافة هى الاخرى مفسدة ايضا، والامثلة كثيرة ايضا.

وعندما يكتب الصحافى على موسيقى عصر المسؤول، فأن المجتمع يصبح فاسداً، والعصر يصبح عصراً فاسداً، والضمير يصبح ضميراً فاسداً.. وهناك تحدث الطفرات من قبل الناس الطفرانين.. لكى يتجاوزوا عصر الفساد.. وعندها يختل التطور الطبيعى للبشرية.. وتحدث المصائب!

شيكات لها ظلال

جدل يدور فى امريكا حول «الهدايا» المقـدمة للصحافيين.. وقد اندلع خلاف حـاد فى محطة «ايه.بى.سى» بعـد ما اذاعت المحطة خطابا لاحد محرريها اخذ عنه اجرا مدفوع الثمن.

وقال صـحافى آخر، انه كان يتلقـى هو وغيره من الصحـفيين الذين يرافـقـون الرئيس الامـريكى فى رحـلاته هدايا.. وان هذه ممارسة شـائعة بين عـدد من الصحـافيين فى الولايات المتـحدة، الذين يتقـبلون تكريما ماليـا من الشركات مـقابل خطاباتهم.. او هدايا من دول اجنبية.

أما فى الصحافة العربية، فقد حسم الموضوع حسما قاطعا منذ فتـرة طويلة، حيث يتنافس الصحـافيون العرب على السـفر الى بعض الدول العربية للحصـول على الهدايا، وابتزاز الدول الغنية منها، وتروى احدى النكات القصة التالية:

ذهب رئيس تحـرير احدى الصـحف العـربية الى دولة غنيـة، وظل ضـيـفا عـلى هذه الدولة لمدة اسـبوعـين، وكانت الجـهـات الاعلامية قد دسمت هذا الصـحافى بشيك له ظلال، وعندما سأله المعنيون فى هذه الدولة لماذا لم تكتب عنا أى مديح؟

رد رئيس تحرير الصـحيفـة عليهم قائلا: هـذا الشيك ياطويل العمر حـتى لا اشتمكم .. أما شيك المدح.. فلم استلمـه بعد.. حتى أمدحكم!

حيرة

قال قــارىء: قرأت مـقالة «عـمود» الكاتب الفـلانى، المعارض لاتجاه حل غـزة اريحا.. ويبدو لى أن كـلامه معـقول.. وحـجـجه مناسبة.

ثم اضاف القارىء قائلا: ولكن قرأت مقالا آخر ، لكاتب العمود العلانى، المؤيد لنفس الحل، وهو الآخر كـلامه منطقي، اما الكاتب «ترتان» فى عمـوده اليومى، فهو الآخـر قد اورد حججا منـطقية معقولة، فى ذكر الخلفيات، والمبررات لذلك الاتفاق.

لكن ـ يضـيف القارىء ـ ما يحـيرنى، بأن الكاتـب «العلانى»، الذى ينتقد المؤيدين لذلك الاتفاق، يسـتهوينى باسلوبه، وكلماته، ومنطقه، بـس الكاتب الفلانى، وهو يستـعرض الاسـباب المؤدية لهذا الاتفاق، والخلفيات التاريخية والسياسية، يجعلنى فى حيرة، ومتذبذباً فى اتخاذ أى قرار أقوم بتأييده..ها.. فما هو رأيك؟

ما .. وما

ما يمنع فى البريد، صار يرسل بالفاكس، ومايمنع فى الاذاعة، صار يسمع بالترانزستر، وما يمنع فى التلفزيون، صار يشاهد عبر الاقمار الصناعية، وما يمنع فى الفيديو، صار يسمع بالاشاعة، وما يمنع فى العلانية، صار يطبق فى السر، وما يمنع بالقوة، صار يمارس بالعنف.

ألم تلاحظوا أن ثوابت المنع والحرية، قد تفاوتت ملامحها، وأصبح الامر يتطلب رؤية جديدة، ليس مابين الممنوع والمسموح، ولكن مابين المتغيرات والحرية، والا اصبح القانون مثل الحذاء الصينى القديم، الذى يعصر أرجل السيدات، حتى لا يجعلها تكبر حينما كان الجمال يقاس بالقدم الصغيرة.. اذ كانت المرأة آنذاك مجرد جارية فى بيت بعلها! أما الآن فإن نسب المقاييس تغيرت فى كل المجالات.. حتى فى مجال المسموح والممنوع!

بريد صحافي

1 ـ الو.. انا انسـان عـاطل ابحث عـن عمـل.. لماذا لا تكتب عن اولئك الجـشعين الذين لايريدون تـشغـيلنا.. هل انت جبـان.. أم تخاف ان يقطعوا عنك الاعلان! لماذا تكتب عن اشياء غير مفهومة!

2 ـ الو.. لماذا يصمت قلمك عن الرسـوم، والضرائب، وزيادة الاسعار، والشقق، والاسـتهلاك، والكهرباء والماء؟ وتكتب لنا عن السياسة الخارجية.. هل تريد ان تهرب من المواضيع الساخنة؟!

3 ـ الو.. لماذا تكتب.. عن السيـاسة الخارجيـة والبوسنة، ولا تكتب عن وضـعـنا وعن حـالتنا يا جـبـان.. يـا.. بس تقـدر على النسوان.. وأشكالهم!

4 ـ الو.. لماذا لاتـكتب عن وضـع المسـلمين فى الصـومـال، والبوسنة، وياعلمانى.. ياشيوعى..!

5 ـ الو.. لماذا تكتب في السياسة وعوار الرأس؟! لماذا لا تكتب عن الحب، ومسألة كيف تختار الفتاة حبيبها.. أليس ذلك أجمل؟!

6 ـ الو.. لماذا لا تكتب عنا نحن اطفال الحضانة.. كل يوم نفس «الجبس والجـوس».. مايغيـرون لنا.. ولا تنسى «البمـبر».. أمى تقول اسعاره زادت!

7 ـ الو.. الو.. الو.. أين الكاتب؟!

ـ لامجيب.. لقد اصيب كاتبنا بالذبحة القلبية.. وتوقف عن كتابةالعمود الصحافى!

8 ـ الو.. لماذا توقف الكاتب عن عموده، لماذا لا يعود ويكتب عن العاطلين، والرسوم، والاسعار، والكهرباء، والبوسنة والهرسك، والصومال، والمبعدين من فلسطين، والحب، والبمبر!!



الاقلام المبخرة

مسئـول كبير، اقدره واحـترامه لدماثته وأخـلاقه، وتميزه فى عمله، قال لى ذات مرة ومنذ زمن بعيـد: لماذا لا تشير فى كتاباتك الى الجوانب الايجابية كما يكتب الآخرون؟!

قلت له بصـراحـتى المعهودة: اعـتقد بأنك تربأ نفـسك عن مثل هذه الاشـارة.. وهذا المديح.. وربما قرأت كـثيـراً من ذلك المديح.. والذى هو فى الواقع شـتيـمة على ورقـة مدح.. فهل تـصدق هذا الهراء الذى يكتبه بعض حملة الاقلام.. المبخرة.

قال المسئول الذى اقدره واحترمـه: كلا! كلا! لا أقصد مثل هذا المديح الذى تشير اليه.. فأنا لا أؤمن بمثل هذه الكتابات.. ولكن الا يوجد ماهو ايجابى حتى توجه اليه المدح والاشارة؟!

قلت: حتى تكون كلماتى، او مديحى نابعا من القلب، اكتبه ليس تزلفاً.. ولا نفاقاً.. فأرجو ايضـا ان تتقبل ملاحظاتى وانتقاداتى.. وربما اشـتطاطى بحـسن نيـة من جانبـك وبقلب واسـع.. وليس بتـحويلهـا الى سوء نيـة.. فـعند ذاك سـتـخرج كلمـات المدح من القلب.. كما وسـتخرج الانتقادات الصـادقة من القلب والى القلب ايضاً.

تشابه البقر

يقول صحافي يختلط بصحافيين من العالم، في مختلف المؤتمرات السياسية التي يحضرها، وهو يروي نادرة نقلاً عن صحافي من دول العالم الثالث، وتقول الحكاية:

كان الوفد الصحافي الذي يرافق الرئيس في جولاته، قد ذهب الى المحافظة التي سيزورها الرئيس، ليرصد الاحتفالات والانجازات التي سيفتتحها الرئيس، وعندما سأل الصحافي المحافظ الذي يعرفه، والذي قادهم الى مصنع الحليب الذي سيفتتحه الرئيس في جولته ، حينما شاهد المصنع الفخم، وهو يعرف بأن هذه المحافظة ليست زراعية، وليس فيها كميات كافية من الحليب، سأل المحافظ: ولكن اين الحليب الذي سيعمل عليه المصنع؟

قال المحافظ وهو يبتسم: لقد اجريت الترتيبات اللازمة لجلب الحليب، من المحافظة المجاورة، اثناء وصول الرئيس، الذي سيفتتح المصنع، والذي سيقص الشريط، وستصوره كاميرات التلفزيون والصحافة.

فقال الصحافي: وبعد ذلك ماذا ستفعلون؟!

قال المحافظ: بعد ذلك لايهم، الذي يهم بأن الرئيس سيفتتح مصنع الحليب، وستصوره اجهزة التلفزيون حتى يشاهده الناس .. اما فيما بعد.. فهذا لايهم!

معضلة جديدة

فى لقاء مع صحافيين من عدة دول خليجية، دار الحديث حول محاذير، ومخاطر، ومنغصات العمل الصحافى، قال احدهم:

المسألة ليست فى ان تنتقد الآن، فهذه المرحلة تجاوزناها، فنحن صرنا لاننتقد احدا، او مؤسسة، او اى شىء ما.. ولكن الخطورة اصبحت اكبر..

قلنا جميعاً: فهل اوضحت لنا امثال هذه الخطورة، حتى نتحاشاها نحن ايضا؟!

قال الصحافى مواصلا حديثه: مثلا.. لو انتقدنا سيارة ما لخلل فى مصنعيتها.. او كراج اصحاب نفس مؤسسة السيارات.. فسوف نكتشف فى نفس اليوم، ومن خلال مكالمة شديدة اللهجة ان هذه الوكالة لشخص ما مهم، او له ظهر مهم!! ويجب التوقف عن الكتابة حول هذا الموضوع بتاتاً!

واذا كتبنا عن مؤسسة اغذية، باعت بضاعة انتهت صلاحيتها، لاكتشفنا بأنها لشخص ما مهم.. من خلال مكالمة هاتفية ثانية شديدة اللهجة ايضاً.

ولو كتبنا عن سوء الطرق .. وعن سوء المباني.. وعن.. وعن.. لاكتشفنا بأنها لشخص مهم.. او احد ما.. فماذا نفعل تجاه هذه الامور الجديدة.. المعقدة.. التى لم تمر على عملنا الصحافى من قبل؟! فقد كثر الاشخاص المهمون!!

قال صحافى مشاغب: الافضل ان نعمل دليلاً بالمؤسسات التجارية، ومن هم اصحابها، وعلاقتهم وشركائهم.. وبعد ذلك نكتب عن الذين ليس لهم ظهر.. او شريك مهم!!



عمود كل يوم

تقابل صديقك كل يوم، وليس فى كل يوم جديد، تسأله ماالاخبار.. ما الجديد.. ها.. ألا توجد سوالف جديدة؟!

وطبعا لو كان صديقك من النوع السياسى فسوف تقول له، تعبت رأسنا.. فى كل يوم سياسة!

أو لو كان لا ينفك يتحدث فى الرياضة، فسوف تقول له الا يوجد فى العالم سوى كرة القدم!

أما لو كان من النوع المزوح والضحوك، فسوف تقول له، ألا تعرف الجد فى حياتك.

أما لو كان من النوع الذى لا ينفك يتحدث عن الحب والنساء والعواطف، فسوف تهاجمه قائلا: الدنيا ليست حب كلها.

أما لو ظل يتحدث لك عن الطعام والاكل والشراب، فسوف تقول له: ليس بالخبز وحده يحيا الانسان.

إذن ماذا تطلب من صديقك هذا؟ أنت تطلب منه أن يمتعك وان يحضر لكل مقال مقال، ولكل يوم حديث، وكل حديث يختلف عن الآخر، فأنت تعتقد نفسك شهريار وهو شهرزاد، ويجب عليه ان يسليك فى كل يوم بحكاية، ويا حبذا لو كان يقرأ افكارك، ويقص حكاية توافق مزاجك فى ذاك اليوم.. والا ستقطع رأسه.. هذا اذا كان لديك سياف مثل مسرور! والمصيبة انك تطالبه بكل ذلك.. مقابل مائة فلس!

مقالة البصل

فى بداية الثورة المصرية، عند كان رجال الثورة، لم يقرروا بعد تأميم الصحافة المصرية، ولم تتضح بعد معالم الحقبة الجديدة من توجهات.. كانت الثورة قد فرضت رقيبا على الصحافة المصرية، يراقب، ويشطب، ويمنع، كل ما هو لا يتماشى مع خط الثورة.

وهنا كتبت جريدة المصرى، وهى جريدة الوفد آنذاك، مقالتها الافتتاحية، عن البصل، وفوائد البصل، وكيفية تقطيع البصل، وكيفية تحاشى دموع البصل.. وعندما قرأ الرقيب هذه الافتتاحية، اجازها بعدما لم يجد فيها شيئا، يتعارض مع التعلميات التى كانت لديه، عن الممنوعات، فى تلك الفترة.

وعندما شاهدت ادارة الرقابة المقالة، لم تستطع الا ان ترفع السماعة، وتتصل بهذا الرقيب وتزفه قائلة: ألم تستطع أن تملك من الوعى الكافي، لكى تعرف بأن كاتب الافتتاحية، كان يقول للناس، بأنه لم يعد لديه مجال مسموح للكتابة عنه سوى البصل.. بعدما انعدمت جميع الحريات؟

ولم يستطع الرقيب الا القول: حاضر ياسيدى.. انا آسف.. المرة الجاية مش حنزل أية مقالة عن البصل!

نجـاح

ان اللغط، والحديث المتواتر عما يكتبه اي كاتب، إنما يدل إن دل على شـيء، بأن طبيعة البشر مختلفة، ورؤيتهم للأمور، وتقييمها هو الآخر يتم بـاختلاف، وليس في هذا الكـلام بشـيءجديد . . الا إنه لا يزال محور نقاش.

ويوضح القـصـاص المشـهور جي.دى موبـاسان هذه العـبارة قائلاً: الواقع ان الجمهور يتكون من مجموعات عديدة تصرخ:

- متعني!
- اضحكني!
- إجعلنى حزيناً.
- إجعلني ارتعش.
- ابكي.
- دعني أفكر.
- نخبة ضئـيلة تناشد الكتاب: اصنعوا شيئـاً جميلاً، بالشكل الذي يكون أفضل لكم، وفقاً لمزاجكم.

الكتاب يحاولون، قد ينجحون أو لا!

إيماء

يقـول ناقـد: لم يعد فـن الايماء بمعناه الحـديث، يعتـمـد على الحركة، او القليل من الاشارة، او القليل من الكلمات، الايماء ينقلنا هنا الى عالم نعرفه، لكنه يقـربنا من شعور لم نعد ندركه، الايماء صار اليـوم بالكلمات على طريقـة بيكت، وبالحركة المعـبرة، على طريقة تجسيم اللوحات، في معـارض الفن التشكيلي.. باختصار صـار كل شـيء ممكنا فـي فن الايماء الحـديث.. مـا عـدا ان يقف الممثل امام الجـمهور، بهلوانا، او مهـرجا، والمؤثر في فن الايماء، انه صـار غير مثقل بالقواعـد والتصورات الجاهزة، هناك الحركة، وهناك الصمت، هناك الكلمـة، وهناك الخيال، لا يوجد مـتفرج، لا يتفاعل مع هذه المفردات، مجتمعة، او منفردة.

ولكن، كيف يمكنك، ان تجسد الايماء، من خلال الكلمة، هل من خـلال الاختـصـار، الايجاز، الـتكثيف، الـترمـيـز، الكناية، اللف والدوران، حكايات من هنا وهناك، النقـاط، العلامـات، الحروف، البعد عن الموضوع، ان تقف بين الجد والهـزل، عدم الكتابة جهرة، او الاقتناع بأن الايماءة، رغم صغـرها، هى حركة في الواقع، ولو كانت صغيرة.

قلب الملا

كان الصحافي، يريد ان يبرر مقالته، التي كتبها، في وجه إنتقادات صديقه، الذي كان يرددها له قائلا: لو اردت ان تكون في كتاباتك من الناصحين، لا من المتطرفين، لوجب عليك قبل الكتابة، ان تضع في اعتبارك، كل وجهات النظر الاخرى، وكل انواع القراء، الذين يقرأون ما تكتبه، وهؤلاء القراء انواع، نوع يصطاد في المياه العكره، ونوع مشفق عليك، ونوع يريد فعلا، معرفة وجهة نظرك، التي كونتها من خلال حياتك وتجربتك.

وواصل هذا الصديق حديثه: سأروى لك حكاية، حدثت لي عندما كنت طفلا، وكنت أدرس القرآن عند المطوع، وكان المطوع او الملا يحفظنا القرآن، وكان يقرأ الآية حتى يصل الى العبارة التي تقول ولا الضالين، ثم يلفظها بلهجته قائلاً: ولا الزالين.. وكان الاطفال يرددون خلفه قائلين، ولا الزالين، والملا يقول لهم: لا تقولوا ولا الزالين.. بل قولوا ولا الزالين.. ويقول الاطفال ولا الزالين.. والملا بعد ان يعجز عن لفظة ولا الضالين يقول لهم قولوا الذي في قلبي.. انا لااقدر ان الفظ هذه العبارة.

طبعـا كان الملا يريد ان يقول للاطفال، ان يقـولوا ولا الضـالين، التى لا يســتطيع ان يلفظهـا، بدلا من ولا الزالين، ولكن من يقـدر على الوصول الــى قلب الملا، ومعرفــة نيته فى لـفظ ولا الضـالين، بدلا من ولا الزالين.. وهكذا هى كتاباتك التى تجر المتاعب!.

صحافة

عندما قرأت كلمة الامين العام للأمم المتحدة، عن تخصيص يوم في مـايو، يوما عـالميـا لحرية الـصحـافة، وانـتظرت ان تحتـفل الصحافة العـالمية بيوم حريتها، فلم اجد شيـئا يذكر، بل حتى ان كلمة الامين العام، وحرصه فى كلمـته على ان يؤكد بأنه صحافى سابق، تحس بأنها كلمة تحصيل حاصل.. خاليه من الحرارة ومن الصدق.

ولا أدرى، وأنا كلما اتذكـر المقالة الاولى التى كتبـتها عن دور الصحـافة قبل عـشرين عامـاً والتى أرى وجوبهـا آنذاك، وأنا قد غادرت للتـو مقاعد الدراسـة النظرية، والكتب المحشوة بعـبارات يجب، ولا يجب، واقـارن مـا بين مـا تعلمـته من دروس الحـيـاة القاسية.. ازداد ذهولا.. إن كنت أزداد عقلانية، وتواضعاً، ومعرفة بحدود دور الصحافه.

وعادة فى جمـيع المؤشرات البيـانية الاحصائيـة، فإن المؤشر يبتدأ صغيرا، ثم يكبر، ويكبر، ويكبر، الا مؤشر الصحافة، فقد بدأ نظريا كبـيرا، كـبيرا، كـبيـرا، ثم جعلته مطارق الحـياة يصـغر، ويصغـر، ويصغـر، ولا أدرى اين الصواب.. او الخلـل، وأنا اقرأ احدث تقرير عن الصحافة، يظهر الدول التى تتمتع الصحافة فيها بالحرية، وهى بلجيكا، ثم نيوزيلندا، واسـتراليا، والنرويج، حيث

هناك كما يقـول التقرير الحيوية، والتنوع، وعدم وجـود معوقات حكومية.

وعادة ما يكون كثير من الناس، بعـد كثير من التجارب، يبدون جازمين فى آرائهم، حـادين فى رؤيتهم، وقد وصـلت بهم القناعة فى داخلهم، ليخطئوا الناس، ويسبـغوا عليهم النعوت الذاتية، من صح وخطأ، أما أنا، فقد اصبح القلم يرتعش في يدى، ليس خوفا، ولا مـجبنة، ولـكن التأرجح مـا بين الشك واليـقين، والبـحث عن الصواب، والحقيـقة، فلم تعد كثيرا من امـور الحياة هى ابيض او اسود فقط، خصوصا اذا اسـتحضرنا فى ذاكرتنا، بعض المبادىء العامـة للصحافـة، والتى تبتدأ مـن على كل صحافى، ان يتـحمل مسئـولية كتاباته الصحـافيه، حتى غير المـوقع منها، وحتى على الصـحافى حـفظ السر المهنى، وعـدم المزج بين دوره كاعـلامى، ومهـام الشرطة والجيش، وانتـهاء بمسؤوليـة الصحافـيين امام قرائهم، لا ارباب العمل، ولا السلطات السياسية.

لقد اعـتمدت الدراسـة الـسابقة لحرية الصـحافة، فى مـختلف البلدان، على أربعة مقاييس، وهـى مـدى تأثير القواعد، والقرارات الادارية، على فحوى الاخبار، ومدى التأثير السياسـى، والسيطرة الحكومـيه، على المضـمـون، وقابليـة التـأثير الاقـتصـادى على الصحافة، والقمع الذى يتراوح مـا بين الرقابة وقتل الصحافيين.. كما يحدث فى كثير من دول العالم الأخرى.

مَعَلِهْش

كدت وأنا أستمع الى شرح، أو نقد ـ فلا فرق ـ الأستاذ علي محمود المدير الاقليمي لمكتب الاسوشيتد برس، حول أصول كتابة العمود الصحافي، أن أصاب بهبوط القلب، وأن أسارع الى كسر قلمي، والتوقف عن الكتابة نهائياً.

يشرح الأستاذ علي محمود قائلاً: عندما ذهبت الى جريدة الواشنطن بوست، فوجئت بأن كاتب العمود في الصحيفة، لديه مكتب خاص، وسكرتارية، وعدد من المساعدين لا يقلون عن الستة أشخاص.

وكان كاتب العمود الصحافي يأتي الى مكتبه، يتصفح، ويقرأ الجرائد المختلفة، حتى الساعة الثانية عشرة، ثم يعقد اجتماعاً تحريرياً مع مساعديه، حيث يطرح عليهم الفكرة التي سيكتب عنها للنقاش، واذا كان أحداً كتب عنها، أو تطرق لها من قبل، فإنه يلغيها، ويبحث عن فكرة أخرى.

ثم بعد أن تتفق مجموعة العمل على الفكرة، يوزع كاتب العمود المسؤوليات على مساعديه، البحث عن معلومات في الأرشيف، أو التأكد من معلومة، أو رقم، أو اسم، وبعد أن تكتمل المعلومات،

يصيـغهـا الكاتب بأسلوبه، ثم يقـرأها على مساعـديه، ويرى ردة فعلهم عليها.. واذا حاز العـمود رضا المساعدين، أرسله الكاتب الى مجـموعـة منتقـاه من اصدقائه، حـتى يبدوا هم أيضـاً رأيهم في المقال.

وقبل أن يواصـل الأستاذ علـي محمود بقية شـرحـه حول كتابة العمود الصحـافي، ساورني الشك في نفسـي وفي قرائى . . ولكن قلت ياالله. معلهش.. نحن لسنا فى واشنطن!



أقلام وأقلام

رسام الكاريكاتير المصرى المعروف، بهجت، رسم كاريكاتيراً، يعبر فيه عن رأيه، فى الكتابات الصحافية، والاقلام خير تعبير.

القلم الاول، او الكاتب الأول، فهــو الكاتب ذو القلم، الذى يعمل كالتاكسى الأجرة بعّداد، والذى يكتب حسب الاجرة المدفوعه له.. وحسب المشوار المدفوع ثمنه.

والقلم الثانى، هو القلم البصّام، الذى يكتب ما يؤمر به، ويضع بصمته على مايكتبه، حسب قيمة المبلغ المدفوع.

والقلم الثالث، أو الكاتب الثالث، هو الكاتب الملتوى، الذى يدخل مابين القــشرة وبصلتــها، حتى يفــوز بجزء من غنيــمة معــركة، استشـعر ابعــادها، وعرف مجرى الهواء فيها.. فــدخل اليها بقلمه الملتوى حتى يفوز بنصيبه.

أما القلم الرابع فــهو القلم المنحنى، الذى ينحنى، ويقــدم سلام مــربع لما يؤمــر به، وربما يكون حــجم الانحناءة، لأى من يدفع.. حتى لوجبة فى مطعم.. أو تذكرة طيران.

أمــا القلم الخامس، فــهو قلــم بصم الاستــفتــاءات، والقضــايا السياسية الكبرى، وحيث يستشعر هذا الكاتب، ما يراد من تنظير

سـيـاسات واحـتـيـالات، وهوب يبصـم بقلمـه، المنّظر لكل هذه الالعبونات.

أمـا القلم السـادس، فـهـو القلم بلونين، كـمـا يكتب بالازرق، يسـتطيع أن يضـغط على الزر الآخر، ويكـتب بلون أحمـر، ومن جهتين يستطيع ان يقبض، وان يرضـى الطرفين بما يكتبه.

اما القلم السـابع، او الكاتب السابع، فلم نعرف مـغزى الرسم، وماذا يقصـد الرسام، فربما يكون هذا القلم، يكتب باربـع جهات، فى نفس الوقت، أو يـلعب بالثـلاث ورقـات، او ربما قلم بأربعـة أرواح، او قلم شـريف لا يقـصف.. حـتى الآن.. من يدرى مـافى ذهن الكاريكاتيرست الخبيث!



حق وحقيق

كـان الحضـور يتحـدثون عن كـتّاب التنظـير، والتـحليل، فى السـياسـة العـربية، والـدولية، وهم يصـولون، ويجـولون، فى التـرفيع والتـسقـيط، وتحليل الابعـاد والخلفيـات، وفى المداخل والمخـارج، وعلى صفـحات منمـقة بالعـبارات والاسـتهـلالات.. وعندما تقـرأ كتاباتهم، تعـتقد بأنهم صـاروا المرجع، والحوزات العلمية، فيما يكتبون، وفيما ينظّرون، وفيما يفتون فيه من قضايا سياسية.. واقتصادية، اقليمية وعالمية.

وفجأة، خرج أحد الحاضرين عن طوره، واشتط به الغيظ، وهو يوجه كلامه لى، كأنى المسؤول الاوحد قائلاً:

يا سـيدى الصـحافى.. كـيف تكتـبون عن قـضايا وأمـور، لم تشاهدوها بأعينكم، ولم تقرأوها، او تدرسوهـا دراسة مختصة، ولا تعرفـون خلفيـاتها، ووجودها على الواقع، بل ان بـعضكم لم تطأ قدمه هذا البلد الذى يكتب عنه..

وواصل حديـثه الغاضب قـائلا: سأعطيكـم مثلا على الكـتابة العلمية الجـادة، بأحد الباحثين الامـريكان، الذى زار هذه المنطقة، وعـاش فى أحد بلدانها لمدة عامين، اختلط بالناس، وبالمسؤولين،

وقرأ المراجع المحلية، والعربية، والاجنبيــة، ثم كتب ماكتب، بعدما عاش واختلط، وعرف المكشوف والمستور.

ولكن هذا البـاحث، لم يتـوقف جـهده علــى هذا الامر وحـده، وعــاش على امجــاده، وظل يستـفـرغ ماكــان يكتبــه، بل ظل هذا البــاحث، يقوم بزيارة هذه المنطـقة، فى كل سنة، او سنتين مـرة، يبــدأ من الكويت.. وتنتـهى زيارته باليـمن، حـتى يظل على صلة دائمة بمصـادره، وعلى معرفة بكل المســتجدات، وفى الاخير، فإن كل ما يكتبه، او يحلله، يطلق عليه كلمة خبير بحق وحقيق.



هلاميات

كان الكاتب الصحفي، عندما لا يريد ان يتورط فى اتخاذ موقف من قضية ما، فإنه يكتب كلمات عـمومية، مطاطة، لا يستطيع احد ان يستـشف منها شيـئاً، فهى لا تنرفـز احداً، وهى بلا طعم ولا روح، وتلك الكتـــابات لا تريد بالاســاس ان تضع الاصـــبع على الجرح.

ووضع الاصـبع على الجرح فى المصـطلح الصحـافي، هو ان تشير صراحــة، ودون مواربة، الى مكمن الخلل، أى خلل، وتقول للرومــان، بان اهل اسبـرطة افضل منكم، لا ان تقـول هذا الكلام وانت فى مـدينة اسبـرطة، حـيث سيـعـتبـرك الناس فى الأولى مجنوناً، وفى الثانية منافقاً!

ولكن يبدو ان الحـديث فى العموميـات الهلامية، هو الآخـر قد اصبـح من المنرفزات، والمنغـصات، والممنوعـات.. فهل يسـتطيع أحـد، ان يدلـنا، على الكتـابـة، فى شىء مـا، يقع فى خـــانة، بين العموميات، والخصوصيات.. ولا تزعج احداً من الناس؟!

تصفح

عندما تتصفح صفحات الصحف الأمريكية، والاوربية، لا تجد فيها من أخبار عالمية، الا الخبر الذى لا يتجاوز حجمه عمودا، أو عمودين، على أحسن الأحوال.

أما الصفحات الأولى، والأساسية، فهى صفحات لا تضم سوى الأخبار الداخلية والتى تهم عامة الناس، ما كان منها سياسة، أو إقتصاد، أو مجتمع، أو جريمة.

وكان هذا التساؤل، يدور في ذهنى، بين الحين والآخر، وأنا أحاول البحث عن جواب، حتى فاجأنى أحد المطلعين ذات مرة، بالاجابة على سؤالى، بشكل لوذعى، وهو يقول: ... ألا تعرف الجواب، وأنت تعمل في الصحافة دهر. هناك حرية، لا محدودة لك، في تناول الأخبار العالمية، بينما هذه الحرية محدودة في الأمور الداخلية، ألم يدرسونكم في الجامعة، بأن الخبر المهم، هو الخبر الذى يهم أكبر قطاع.

وواصل حديثه قائلاً: إنه مثل حكاية ذلك الوزير العربى، الذى قال معلقاً، على احدى المحطات الفضائية: إن هذه المحطة تدوشنا بصراخها وأخبارها عن بلادنا!!

فرد عليه أحد الحاضرين: لماذا تدوشكم، وهى تغطى أخبار بلدكم بالتفصيل، وأخبرت العالم عما يجرى في بلادكم من أحداث!

فرد ذلك الوزير: لهذا هى تدوشنا!

تشجيع

عادة، فـإن الـجمهور يصــفق لـحرية وشـجاعــة من يقول، ومن يكتب. بل ان هذا الـجمهور، عندما يجـد مقالة، او كاتباً، يتوقف عن قول ما يود سماعه، يحرضـه، ويحوحوه، كما يتم حوحوة الجراء، حتى يـعود الى نفس النغـمة التى يحـبهـا الجمهـور.. ويحب ان يستمع اليها، ويحب ان يأكل بعدما تعود على اكل البهارات!

ولكن عادة، فإن هذا الـجمهور المصفق، لحرية، وشـجاعة القائل، او الكاتب، ينسى، او يتناسـى حرية، وشـجاعة، من يسمح بالقول، وبالرأي، وبالكتابة، وبالنشــر، ولا يشـجعــه، او يشكره، بكلمة، او حتى بايماءة.

نبر.. ينبر

لم أقرأ كتاباً، لكاتب عربي، أو مطبوعة عربية، إلا وكانت تنبر الماضي، وتستجلب الماضي، وتمجد الماضي، حتى صار الماضي العربي القديم، هو مشجب الحاضر المريض، بل وصل الدجل الى تمجيد ماضٍ، كان فيه الانسان يشرب من ماء آسن، ويحمد المرض الذي يستأصله، ولا يجد الرغيف النظيف، ولا لقمة العيش، ويمسح مخاط أنفه في ملابسه، و..

ولم أقرأ كتاباً لكاتب عربي، أو مطبوعة عربية، تنبر لنا طريق المستقبل، ما هو هذا المستقبل الذي ينتظرنا، ماذا نحقق فيه من مشاريع ثقافية للعالم، من مشاريع صناعية، من مشاريع علمية، من ... من ... الم أقل لكم،إن التغني في الماضي أفضل، والنبر فيه أسهل، باستجلاب أمثلة، وعبارات أكل الدهر عليها وشرب. بدلاً من ابتكار عبارات المستقبل.

طرق

بعض الناس، لديهم طريقـة سهلة وعـملية جـداً، للتعـامل مع الامور التى لا يسـتطيعون التأقلم مـعها، أو عادة حـينما يكونون معـارضين لها، أو حينمـا يرفضونهـا، لأنها ضد قـناعاتهم التى كـونوها، ولم يرغبـوا بتغـييـرها بحكم العـادة، أو ربما لأنـهم لا يريدون أن يتعبـوا أدمغتهم، وقناعـاتهم الشـخصية بـالتفاعل مع هذه الآراء والافكار الجديدة التى تصطدمهم.

ويروي لنا مثقف فى معرض حديـثه، عن نادرتين حصلتا معه، الاولى عندما كـان يناقش مع أحد هؤلاء الاشخاص كـتابات علي شـريعتى، الذى قـام ذلك القارىء بـسداد اذنيـه حتى لا يسـمع اسمه، لأنه يختلف مع آرائه، والنادرة الثانيـة، والتى قام فيها احد الذين قرءوا كتـاب فرج فوده، وسأل احد مـريديه المؤيدين قائلا: هل صـحيـحة هـذه الوقائع التي يرويهـا الكاتب، أم هى مـحض اختـلاق، فرد عليه إنهـا صـحيحـة تاريخيا، ولكن انصـحك بعدم قراءتها.

أمـا النادرة الثالثـة، فـهى التى يقوم بـها بعض القـراء، الذين يقررون عدم شراء الصحف التى لا يتـفقون مع آرائها، ويلقونـها من وجباتهم الثقافية، فكأنهم فى هذه الحالة، يريدون الغاء كل ما يجري فى الـعالم من وجوده فى أذهانـهم، ولكن لا يستطيـعون طبعا الغاءه من الواقع المتغير!!

قشرة الموز

بعض الكتابات العربية، التى تظهـر بشكل أو بآخر فى اكثر من منشورات صـحفـية، تذكرنـى بحكايات كتّاب الاطـفال، الذين لا يزالون يرمزون لشقاوة الاطفال، بحكاية ذلك الطفل الشقي، الذى يرمي بقشرة الموز على الارض، وعندمـا يأتي والده يتزحلق فوق القشرة، ويقع على الارض، وتنكسر رجله.

ورغم كل تلـك المتـغـيـرات التـى مـرت على هـذا الكون، من أشـخـاص، ومن آراء، ومن نظريـات، ومن سـيـاسـات، ومن تكنولوجـيات، ومن سنوات، ومن اخـتراعات، ومـن.. ومن.. فإن حكاية الكتابات التى تزحلق القراء على قشرة صحف من الموز.. لا تزال تبـاع على قراطيس من ورق، لـكن الحمـدلله لا يزال بعض القراء الاذكـياء، يحاولون اسـتـعمال تلك الوريقـات لمسح الزجاج والنوافذ، ووضـع الاطبـاق عليها عند الاكل، أو اسـتعمـالها لطرد الحشرات من أرفف المطابخ!

ضجة

أثارت الصورة الفائزة بجائزة «بولتزر» للصحافة، والتى التقطها المصور كيفن كارتر، كثيرا من الضجة الاعلامية، وقد قيل ان الصورة التقطت دون أى وازع انسانى.

وتمثل الصورة، طفلة سودانية، وقد سقطت على وجهها فوق الارض، من الجوع، والمرض، والانهاك، وقد وقف خلفها، أحد النسور ينتظر موتها، ولقد تم التركيز الأعلامى، على ان صورة من هذا النوع، تخالف اخلاقيات المهنة، فهذا المصور، ترصد الفتاة والنسر، الى ان واتته اللحظة المناسبة، لالتقاط الصورة، التى حملته الى عالم الشهرة، دون اى وازع انسانى.

والصورة الاخرى، التى اثارت اهتمام العالم، صورة الطائر (اللوهة) المغطاة بالنفط، والتى اثارت هى الاخرى، اهتمام العالم اثناء حرب الخليج، لتلخص بشاعة الحرب، والدمار، والذى تخطى الانسان، ليصل الى هذا الطائر البريء.

وفى عالم مثل هذا، تتدفق فيه المعلومات، بقوة وبقسوة، وبأحدث ما أنتجت التكنولوجيا، وتعقيدات الحياة السياسية، أثارت هذه القضية اهتمام الصحافيين فى العالم، وبشكل خاص،

الصورة الاصطناعية التى تزيف الحقائق، حيث بات ممكناً حتى تصوير واقعة، او شخص فى مكان لم يزره.

والمؤتمرون الاعلاميون، الذين اجتمعوا فى جزر البليار، نصحوا العاملين فى الصحافة بالابتعاد عن الاثارة والغموض، وخلط الاعلام بالاستعراضات، والاعلانات، والرأى الشخصي، ومناورات تشويه التاريخ، او اعادة كتابته، فكلها قضايا تضر بمصداقية واستقلال الصحافى!



الأثير

كم نجحت اذاعة «هنا لندن» فى لم شمل العرب، والالتفاف حول مؤشر مذياعها، للاستماع الى أخبار الواقع العربى، اثناء الحرب الباردة العربية ـ العربية، وهى فى الواقع كانت حرباً شديدة الحرارة.

ولقد كشفت وثائق سرية بريطانية، عن ارشيف الاذاعة البريطانية الشهيرة «هنا لندن»، بأنها كانت تدار من قبل هيئة المخابرات الخارجية البريطانية المعروفه باسم (م ـ 16) لمدة 15 عاماً، وتم استخدامها خلال ازمة السويس.. بالاضافة الى اشراف وزارة الخارجية ولجنة يرأسها وزير الدولة لادارة مثل هذه المحطة.

وكانت المحطه حتى تموه على وضعها، كانت تبث تعليقات معادية لاسرائيل، وتبث القرآن الكريم، الا انها كانت تبث اخباراً منتقاة، ومواد دعائية، بعد موافقة حكومة إيدن عليها.

أما الآن، فأن مجلس الاعلام الخارجى الفرنسى، يحاول التوصل الى تحديد استراتيجيته فى النشاط الاعلامي، وذلك فى محاولة فرنسا للمنافسة الاعلامية، خصوصا وان «اذاعة

فرنسـا» لم تستطع مجـاراة هيئـة الاذاعة البريطانيـة، او صوت امريكا، كـذلك اذاعة مونت كـارلو فلم تستطع هى ايضا اخـتراق الاعلام الامريـكى، لذا كثرت الدعوات للتنسـيق بين الاذاعتين من خـلال مـجلس الاعـلام الخارجـى الفرنـسى، الذى يضم رئيس الحكومـة وزراء الخـارجـية والاقـتـصـاد والصناعـة والبـريد الاتصالات والثقافة والتعاون.

والسؤال الآن: اذا كـانت الاذاعات الموجهة هـكذا يتم التخطيط لها، فـما هى التخطيطات والتـوظيفات المعدة للاذاعـات المرئية .. المبثوثة من الاقمار الصناعية؟!



أعمدة

يثير كتاب زوايا الأعمدة، فى الصحافة الكويتية، قضية تهم الصحافة، وتهم القارىء فى نفس الوقت، إذ ان معظم كتاب هذه الزوايا، هم من المتحزبين، لا الصحافيين، بمعنى ان معظم هؤلاء الكتاب، دخلوا الصحافة، من باب الأدلجة الحزبية، لا من باب الصحافة المهنية.

وبمعنى آخر، إن هؤلاء الكتاب، فى دخولهم الى الصحافة، جاؤوا محملين برؤاهم الحزبية، لنمط المجتمع الذى يريدونه، وبتحديد مسبق ومؤدلج لرؤاهم الصحافية، وبالتالى صار همّهم الاول، هو الدفاع عن وجهة نظر محازبيهم، والذود عنها، والهجوم على من يختلف عنهم.. والحط من افكاره وكتاباته.. بدءا من حكاية العلمانية.. وانتهاء بالتكفير.. ووصولا الى الهجرة!

بينما من المعروف، ان الصحافى، والكاتب، الذى يكتب لهذا المجتمع، ان يبين لقرائه، ولمجتمعه، اين تقع نقطة الصواب، فى خضم هذه التصارعات السياسية، والاقتصادية، وحتى الاجتماعية.. وهذا لا يعنى، ان لا تكون للصحافى، وجهة نظر خاصة، تنطلق من دوره فى هذا المجتمع.. دور دليل قومه، ومجتمعه، لادور فئته، او طائفته، أو محازبيه!

الاسماء المستعارة

لم يعد لاسماء الصحافيين المستعارة وجود، بعد ان سطا عليها القراء، عيني عينك، وصرت عندما تفتح صفحات الجرائد، وما تسمى بصفحات الشعر الشعبي، اذ تفاجيء بكم هائل، من الاسماء المستعارة، يعجز عن ايجاد مثلها جهابذة الصحافيين.

وسوف تجد اسماء، من مثل ابو الزعيم، وأم الزعيم، والبرق الساطع، واللحية الزرقاء، وذوى الفم الاعوج، والقرصان الاحمر، والزعفراني، ووسع لي يا جدع.

واذا فتحت المذياع، على البرامج الجماهيرية، التى تبث على الهواء مباشرة، فسوف تسمع اسماء، تبدأ بأبى محمد، وأم علي، وسوف تنتهى بأم العرندس وأبو اللقلقاني.

وأخيراً امتدت هذه الظاهرة، الى تقديم اذاعة طلبات اسامى مطربى الاغانى هى الاخرى، بأسماء مستعارة، فبدلا من محمد عبده، صارت المذيعة تقدمه باسم ابو عبدالله وبدلا من احمد الجميرى، صار يتم تقديمه باسم ابوخالد، وقريبا سوف نسمع عن المطرب ابو فهد، والمطربة أم حسقيل، وان لناظره قريباً!

الغوغاء

الذى كان يقرأ الصحف والمجلات، والمذكرات، عن مصر ماقبل الثورة، فى هوجة دعم ثورة يوليو، كان يظن بأن مصر فى ذاك العهد، بؤرة من الفساد، والشياطين، وحتى لم يعد فيها ملاك واحد.

والذى كان يقرأ الصحف والمجلات، والمذكرات، عن عراق ماقبل الثورة، يظن بأن العهد البائد، كان عهد جحيم، وخيانة، وسرقة، وماخور كبير.

والذى كان يقرأ الصحف والمجلات، والمذكرات، عن العهد الملكى فى ليبيا، يظن بأن ثورة الفاتح من سبتمبر، هى المنقذ للشعب الليبى، من فساد سدوم وعموره..

وبعد مرور كل تلك السنوات، على عهود الانقلابيين، والانقلابيين المضادين، وأيضا انقلاب الانقلابيين، وصار يقرأ على مهل، المذكرات الصادرة عن رجالات ماقبل انقلابات الثورة.. وصار يشاهد ماصار الانقلابيون يكررونه.. ونقرأعما حدث فى عهودهم، صار الانسان يعانى صدمة الوعى.. بين ماقرأه أول مره، وقرأه ثانى مرة.. وماشهده بنفسه فى آخر مرة.

والمشكلة هنا ليست فى «الغوغاء»، وهم الناس البسطاء فى الشوارع، الذين تحركهم كلمة أو خطبة.. أو محاكم.. ولكن المأساة تصبح، عندما تكون الاجهزة الاعلامية من صحافة، وثقافة، ومثقفين، هم الغوغاء! ويصفقون لدى سماعهم أى طبلة!



حيص بيص

يقول احـد العاملين فى القـسم الخارجي، فى احـدى الصحف العـربية: هؤلاء المتـشـددقون فى عـالمنا العـربى، بمقولة الغـزو الثقافى، والهجمة الامبريالية الشرسة، والمؤامرات البروتوكولية، الكواليسـية، والدس الاعلامى الغـربى، والمحطات الفضـائية اللا اخلاقية، لا يعرفون فعلا ما هى حقيقة واقعهم.

وما هى الحقـيقة؟ أتساءل أنا، فـيجيب الصحـافى العامل على اجـهزة التـيكرز، آسف، الآن الاخـبار تجىء رأسـا على شاشـة الكمبيوتر، وبدون المـرور على التيكرز، وتقطيع الورق، وتلصيق الاخبار، يقول الصحافي:

هل تعرف، بأن الاقسـام الخارجية فى الصحـف العربية، تقع فى حيص بيص، يوم السبت والاحد، وهما يوما العطلة فى الدول الغربية، حـيث تقل النشاطات، والاحداث، والتغطيـات الاخبارية، لدى وكـالات الانبـاء الغربيـة، ولا نعـرف مـاذا نعمل، لتـغطيـة الصفـحات الاخبارية السـياسية، فـى صحفنا العربيـة، اذ تنهال علينا فى هذين الـيومين، الاخـبـار الرياضيـة فـقط، يا سيـدى.. روحوا تكلموا.. واكتبوا.. وانتم تعرفون حجمكم الحقيقي، قبل ان

تطنطنوا عن المؤمـرات.. والدســائس.. وعن الغـزو.. ماتقـوللى.. يغـزونكم على شنهـو؟! ألم يحن ان تطرح السـؤال المهم.. أى أن نعرف قدر انفسنا.. على هذه الساحة العالمية، حتى نصمت!



جرائم الصحافة

من السهولة أن تصدر احكاما قاطعة، خصوصا عندما تكون مؤدلجاً، اقصد عندما تكون يسارياً، أو شيوعياً، أو نازياً، أو رأسمالياً، أو.. أو.. فإن مصطلحاتك وعباراتك، عن حرية الصحافة تكون قد تبرمجت، وأصبحت مؤطرة، وجاهزة للاستعمال الفورى، فالصحافة فى خطابك مدجنة، ومسيطر عليها من قبل البرجوازيين، والرجعيين، والامبرياليين، وحرية الصحافة، هى حرية أصحاب رأس المال، بينما الطبقات العاملة مسحوقة، وبالتالى، يجب خلق صحافة الفقراء، ضد صحافة الاغنياء.

ولكن عندما استلمت هذه القوى السلطة، تغيرت العبارات الايديولوجية، والمصطلحات، الى عبارات مؤدلجة حسب المتغيرات، إذ صارت الصحافة، صحافة الشعب، وصحافة الطبقة العاملة المناضلة، ضد الطبقات البرجوازية المدحورة، وصارت الصحافة هى صحافة الانجاز العمالى، والتقدم الاشتراكى، والحلم الشيوعى، ومحاربة الرجعيين المتسللين الى النظام

الاشتـراكى، وقـوى الثـورة المضـادة، وعمـلاء الامـبرياليـة، والذين يريدون ارجاع المجتمع الى الخلف...

وبعـد سقـوط تلك الانظمـة، ظهـرت الآن عـبارات جـديدة، إذ اصبحت الصـحافة الجديدة، هى الصـحافة الحرة، ضد صـحافة الدكتاتورية، التى فرضت اتجـاهاً واحداً، وخنقت الشعب، وقتلت الابداع والحرية، وفـرخت المتسلقين الانتهـازيين، ولم تكن تقول الحقيـقة أبداً.. لكن فعلاً أين الحـقيقة فى كل تلك الحـقب الثلاث.. فى مجتمع واحد؟!

ويمكن تغـيير أسماء الاتجـاهات السيـاسيـة، التى تنوى ان تتبادل السلطة، وتعيد قراءة الموضوع!



نقد ذاتى

قال لى هذا النـاقد للصـحف والمجـلات العربيـة، والذى لا يجد مجالا لكى يفش فـيه غيظه، سوى هذا العبد لله الفـقير من القوة، قـائلا: إنك تريد ان تـعـرف الفـرق مـا بين الصـحف والمجـلات العربية، والصحافة الاجنبية.؟

وواصل حـديثه: سـأعطيك أحدث فـرق بينهمـا، لقد شـاهدنا فجأة، فى مـعظم هذه الصحف والمجلات العربيـة، صورة بنازير بوتو وزوجهـا وأولادها فى مقابلة صـحافية، تـتحدث فيـها عن حياتها، وخـلافاتها مع امها، وأخيهـا، وهذا النشر ظهر كأنه نبت شيطاني دون إحم ولا دستور.

قلت: وما هي الغرابة فى هذا الامر؟

قـال: إن بنازير بوتو تقع دولتـهـا على الضـفـة الاخـرى من الخليج، وفى مـشـوار لا يكلف سوى سـاعـتين من الزمن يمكن الوصـول اليـهـا، وهى رئيـسـة وزراء دولة مـهـمـة، وهى ذات شخصيـة جذابة، خصوصا عندما ذهبت مع رئيـسة وزراء تركيا الى البوسنة، وصـورها جميلة تـشد الصحـافيين والمصـورين..

ورغـم كـل ذلك، لـم تفكـر صـحيـفـة واحدة، بإرسـال احد من مراسلـيها الى بـاكسـتـان.. وانتظرت حتى تـقوم مجلـة اوروبية بعمل هذه المقابلة حتى نقوم بترجمتها حالا، ونشرها.

قلت: أى أرخص؟ ان تترجم بدون حتى دفع حقوق، والا ترسل صحافيا ومصورا، وتدفع تذاكر، وفنادق، ومصاريف.. الم تسمع المثل الذى يقول وشلك بالبحر وأهواله.. ورزق الله على السيف!



كنز

رؤساء التحرير، أو مدراء التحرير، أو مسؤولو الصفحات الثقافية، وحتى مسؤولي صفحات القراء في الصحف، يعانون أشد ما يعانون من نوعية من القراء، تعتقد بأن ما تكتبه هو أبدع من كتابات برناردشو، وشكسبير، وان المتنبي، هو لا شيء، بالنسبة لكتاباتهم، وابن لعبون لم يسمع بهم ابداً.

ويقال، أن احد رؤساء تحرير الصحف الصينية، في بداية هذا القرن، كتب رسالة لأحد هؤلاء القراء، بعد ان «هراه» بالكتابات التي يرسلها، وطبعا تصوروا تلك الكتابات بالصيني، التي يجب على رئيس التحرير ان يقرأها، لذا كانت رسالة رئيس التحرير، التي أرسلها لهذا الكاتب، تصلح هدية لكل مسؤولي الصحف.. وتلك النوعية من القراء.

تقول الرسالة: أخي المتألق كالشمس والقمر..

اليك، خادمك ينحني امام قدميك! أطأطيء رأسي، وأسأل عظمتكم، ان تمنحوني بركة القول والحياة، مقالتكم أنارت بضوئها الوضاح سبل طريقي، أنني لم ار في حياتي كلها، افكارا رفيعة مثلها، لا في روحها، ولا في سخريتها.

ولكنني بخـوف وارتجاف، اعيـد مخطوطكم، لأننـي لو نشرت هذا الكنز الثمين، الـذى ارسلتموه الى، فأن الامـبراطور، سيـأمر بأن يصبح مقاسا للمقـال الممتاز، ولا شيء سوف يسمح بنشره فى المسـتقـبل، ما لم يكن فى هذا المسـتوى الرفـيع.. المتمـثل فى مقالتكم.

وبما ان المامى بالأدب ضحل، فأننى لن اتمكن حـتى بعد عشرة آلاف سنة، من أن أجـاريكم فى ماكـتبـتمـوه.. فلذلك اعيـد اليكم مقالتكم، بحراسة خدم يحافظون عليها.

عشرة آلاف مرة أطلب منكم الصفح والغفران.

اليك رأسي عند موطيء قدميك، فأنا لست الا غبارا.

خادم خالصكم

رانغ تشى رئيس التحرير



مشكلة ولا حل

«أنا أسمى.. جوزيف شتراوس.. أنا أريد أدخل اتعلم اسلام.. أنا مواطن مال النمسا.. وصار حق أنا سنتين يتعلم عربى..».

«فى أنا قرأت كثير عن اسلام، كتب كثير مال مستشرقين.. جرمينى.. نمسوى.. فرنسى.. انجليزى.. أنا يشوف إسلام كثير ممتاز.. قرآن كريم كثير ممتاز.. إسلام يخلى قلب انسان مفتوح.. اسلام يخلي انسان علاقة مباشر بينه وبين ربه.. مافى قس.. مافى وسيط.. مافى كنيسة.. فى داخل قلب كل ممتاز.»

«انا يريد يصير مسلم.. بس أنا يشوف الحين واحد إسلام.. واحد يقول سنى وواحد يقول شيعى.. واحد يقول أصولى.. واحد يقول سلفى.. واحد يقول لحية حلال.. واحد يقول ثوب قصير.. واحد يقول اسلام يقتل نفر أجنبى.. واحد يقول لازم تقتل نفر علمانى.. واحد يقول انت لازم ما يفكر.. لازم بس يسمع كلام امير جماعة.. واحد نفر يقول.. واحد نفر يقول.. بس أنا ما يدرى شنهو يقول..»

«أنا فى خوف الحين.. أنا فى خوف من إسلام.. كل فى بمب.. فى ديناميت.. فى سيف.. فى سكين.. فى نفر يقول هذا جهاد.. أنا ما يدرى شنهو يسوى.. أنا يقول أحسن شيء فى واحد نفر يقرأ فى كتاب مال اول.. أنا فى مشكل.. أريد أنت يقول شنهو حل!».

المعصومية المسبقة

عندما يحدث نقاش ، وخصوصاً فى الامور السياسية ، نصمت ونسمع، ونرى ، الكل يكون في حالة انفعال ، يحاول ان يفند رأى الآخر قبل ينهى جملته ، ليثبت ان مايقوله هو الصواب ، وفى زمن ما كنا ربما اكثر منهم انفعالاً !

وكان السؤال : لماذا لانشترك في حلبة النقاش ؟! وكان الصمت يسود ونقول : وهل فى حوار الطرشان فائدة ؟! هل هناك فائدة عندما ننطلق بداهة فى حديثنا ، او نقاشنا ، بأننا نملك الحقيقة .. كل الحقيقة مسبقا .. والآخرون على خطأ .. أو ليس ذلك هو مصادرة حرية الآخرين .. والاستخفاف بقدراتهم على امتلاك ولو جزء من الحقيقة ؟! اليس بهذه المعصومية المسبقة ، يتشكل الدكتاتور الصغير فى عقل كل واحد منا .. الآخرون لايفقهون شيئا .. ونحن الذين نفهم كل الحقيقة .

ولو كان هذا التصور ، يسود بين إناس فى مستويات واحدة ، لايستطيعون ضر بعضهم بعضا ، لهان الامر ، فلن يؤدى هذا الامر، الا الى التفرقة والابتعاد عن بعض .. ولكن لو كان الامر بين مستويات متفاوتة ، لانتشر النفاق بين المدرس وتلميذه .. والاب واطفاله ، والرئيس والمرءوسين .. وقيل قديماً إن التواضع فضيلة ..

سنوات النار والجنون

الآن.. عندما ننظر الى الخلف نظرة مختلفة، نظرة اكتسبها كل منا بطريقته الخاصة، ولكنها نضجت من خلال تجربة ساخنة، نضجت على مدى ثلاثين عاما، تغضن فيها الوجه، وابيض الفودين، وتعقلن الفكر، مما اعطى نظرة مختلفة لرؤية الأمور، نظرة نضجت على سنوات النار والجنون، التى عصفت بمنطقتنا، وعاصرها كل منا من موقعه وموقفه، والتى انعكست على ذاته، من موقع تلك الرؤية، التى عاصرها.

كانت السياسة العربية، بأقطابها المتربعين على سدة السلطة، والمتطلعين الى التغيير، بمختلف اطرافهم، يتبادلون الرؤية شزرا فى اتجاه واحد، رؤية تنطلق من الغاءالطرف الآخر من الوجود نهائيا، فأنت اما معى او ضدى، وعلى ضوء هذا التصنيف المسبق، فأن كل نأمة، أو كلمة، او اقتراح، او رأي، او مشروع، فأن الرأى الآخر فيه، مبرمج سلفا، على ضوء النموذج، او النمط، الذى شكلته رؤيتى الآحادية الجانب للطرف الآخر، ومن يتذكر ندوات السبعينيات، وكتابات السبعينات، وفكر السبعينيات، يجد ان اسطوانات الحوار، كانت مشروخة من الاصل، بل ان

حـوار الطرشـان المتناثر، والكلمـات المنمـقـة اصـلا، تخـفى بين تنميقها، بشاعة الغاء الطرف الآخر، من مشروعية الحياة نهائيا.

إنها رؤية وسمت بميسمـها كل رؤانا، ان اى حدث، او مشروع معد من قبل السلطة، فهذا هدفـه طمس اعين الجماهير وتخديرها، وجذب النظار الى قـضايا ثانوية، واى اقتـراح من الطرف خارج مشـروعية المشـاركة، فـهو يريد التحـريض، وقلب نظام الحكم، وزعزعة الامن.

لقد دخلت الحيـاة السياسية العربيـة، فى كليشيهات مبـرمجة مسبقا، من الغاء الطرف الآخر، واحتكار الحقيقة، والمأسـاة لازالت تكبـر، لأنه لا يزال لدى بعض الاطراف السيـاسيـة العربيـة تلك الرؤية، ولم تكتـسب مـعاناة تلـك الخبـرة القـاسيـة من سنوات الجنون بعد اى خـبرة، اى الايمان بعدم الغـاء رأى الطرف الآخر المختلفة!



تقنين الورق

ساهم فى نظرية الـغاء الطرف الآخر، والرأى الآخـر فى عالمنا العـربى، عـوامل مـتـعددة، عـلى رأسهـا سـبب عـام، هو عـدم الاستقرار، على الثوابت الرئيسية لأى مجتمع، اقصد عدم وصول المجـتمـعات العـربية، الى ثوابت مـتـفق عليهـا، فى نظام الحكم، والسيـاسة، والاقتصـاد، حيث ان معظم ما هو مـوجود، فى تلك المجـتمـعات، يندرج تحت بند الامـر الواقع.. كـما ان مـعظم تلك العلاقات، داخل المجتمع العربى، سواء بشكلها الافقي والعمودى، لم تقنن على الورق بعد.

كل طرف، يعتقد، بأن رأيه فى ادارة المجتمع، هو الرأى الذى لا يأتيه الـباطل، اما اطراف المجـتمع الاخـرى، فهى لا تفقـه شيـئا، وكان يغـذى هذه الرؤية المتعـصبـة، الجهل السـياسي، والامى، والفقر، وانصـاف الحقائق، وعـدم الوصول الى مسلمات بديهية، وثوابت يتـفق عليهـا المجـتمـع، تستند الى شـرعيـة الورق، والى شرعـية التسـاوى، والى شرعـية العقـد الاجتمـاعى، الذى يمنع الاحتقانات بمـختلف انماطها.

كان الجميع، او كأن الجميع، كانت تنسدل على أعينهم، غشاوة تعمى البصيرة، حيث كان العصر عصر صراع، ومعسكرات، ورؤى تتداخل فيها مختلف الاطراف السياسية، الخارجية، والاقليمية، والافكار المتضادة، والحروب القارية، والمعتقدات، والايديولجيات، وكل اسلحة الحرب الباردة، ولم يكن خيار اى طرف، الا الاندماج ضمن احد المعسكرين، ليس على مستوى دول، بل حتى على مستوى تنظيمات، او حتى افراد، يجب ان تكون ضمن روح القطيع، ولو اعدنا النظر، وتمعنا فى حقيقة السبعينيات، وتمعنا فى من كان يقف ضد من.. وحككنا الصوان بالصوان، لمعرفة ما حدث، على ضوء ما نعرف الآن، فلا اعتقد ان احد يستطيع ان يقول ماهى الحقيقة.. وكانت ظلال الشك والخوف والرفض آنذاك، تتصارع اسلحتها، من خلال كلمات رموز تلك الحقبة، من مثل عميل، وخائن، ومتساقط، وشيوعي، ومخرب، ويسارى، وبرجوازى.. وارهابى و.. و.



شجرة الحياة الخضراء

إن المتغيرات السريعة، التى تحدث حولنا، المتغيرات التى عصفت بكثير من الثوابت الفكرية، والسياسية، والاقتصادية، والتى كان من يتجرأ عليها، فى حينها، يعتبر من المارقين والمرتدين، يكون منبوذا، يتجول متشردا بجذامه، خارج روح القطيع، فهو مجرد خروف ضال عن قطيعه.. وللأسف، فأن مثل هذه الروح، لا تزال سائدة.. والتهم جاهزة سلفا.

وبين حين وآخر، فى بعض الجلسات، مع اناس ذوى تجربة سياسية طويلة، ولكن عندما تسمع النقاش، تعتقد بأنك تعيش فى عالم آخر، تكتشف أن كل مايحدث امامهم، فى شجرة الحياة الخضراء المتغيرة، لاتهز شعرة من رؤوسهم، او تهدأ من تشنجاتهم، فهم لايزالون على نفس النمط، من الرؤية الرمادية، الآحادية النظرة، وعلى نفس النمط، من عصبية التمسك بالآراء، المنمطة مسبقا، والمحتكرة الحقيقة، يفتتح النقاش بضرورة الديمقراطية، وتنتهى الجلسة، بالغاء كل رأى آخر فى النقاش.. وعلى احسن الاحوال، يصمه بأنه لايفقه شيئا!

وتسأل بينك وبين ذاتك، فعلانية السؤال هنا هرطقة وتجديف،

وهكذا انسان، كـيف يتحجـر فى المنطقة الرمادية، ولا تغـيره أية متـغيرات. لكن حتى نملك حـقيقة الـيقين، وحتى تتمـالك نفسك، تعـود الى قراءة التـاريخ، لتجـد ان مـثل هذه النماذج، قـد تكرر وجـودها فى اكـثـر من مـفـصل تـاريخى.. ابتـداءً من حـقـبـة الديناصورات.. وانتهـاء بنماذج معاصرة، نشـاهدها امام اعيننا، وهـى تنقرض هـى الاخرى، ان لم يكن فجأة، فهو بشكل تدريجى!



النظر بعين الاعتبار

اتذكر. كتبت ذات مرة فى السبعينيات، عن ضرورة وجوب توفر اجراءات السلامة، فى منشأة صناعية كبرى، وكتبت آنذاك، عن ضرورة الاهتمام بمطالبات بتجمعات مهنية، واتذكر ان المسؤول الأول، عن هذا القطاع، قدم ضدى شكوى، الى الجهات المختصة، بتهمة الاخلال بالاقتصاد القومى، ولولا منافحة المرحوم محمود محمود المردى، وتفهم الجهات المختصة، لتحولت القضية الى المحكمة.

واتذكر ايضا، بأن الحكومة فى السبعينيات قد اصدرت قرارا، بإلزام اصحاب اللوريات، بضرورة وضع غطاء على سياراتهم المحملة بالحجارة والاتربة حماية للمواطنين، فاحتج اصحاب اللوريات، على هذا القرار، من ضمن هوجة الاحتجاجات فى السبعينيات، وتجمعوا بسياراتهم قرب دوار الحكومة، وسارعت الصحافة، وانا منهم بتأييد اصحاب اللوريات فى احتجاجهم، رغم معرفتنا بصحة القرار الحكومى.

بعد تلك الفترة الزمنية الطويلة، اصبح بحكم القانون، عدم قيام أية منشأة صناعية، او غير صناعية، الا بتوفر كل اجراءات

السلامة المهنية، كما ان الدولة، بأكبر رموزها السياسية، صارت تستقبل ممثلى الجمعيات العمالية والمهنية، بشكل دورى، واصبحت الصحافة الآن، لا تنظر الى اى مشروع، او قرار حكومى، من موقف شك مسبق.. بل تؤيد ماهو صحيح، وتعارض ماهو فيه لبس، وتلك مجرد أمثلة!

زبدة الكلام، لقد كان كل طرف، ينظر بعين واحدة، وبنظرة آحادية الجانب للطرف الآخر، نظرة متشككة ، تمور بكل ما مرت به حقبة السبعينيات، من متغيرات عنيفة وصعبة، لمجتمع ينتقل من حقبة، الى حقبة اخرى.



الشك

كانت العلاقات المحتقنة، بين مختلف الاطراف الفاعلة فى المجتمع، قد عبر عنها خير تعبير، قصة صينية قديمة، وربما حكمة الصين، تكمن فى ايجازها التنظير الكثير، فى حكمة موجزة، لها البعد المباشر، والمغزى العميق، تقول الحكاية:

ضاع فأس احد القرويين، فشك فى ان يكون ابن الجيران قد سرقها، وابتدأ يلاحظه بدقة، فبدا له ، ان نغمة صوت الشاب، وطريقة مشيته، تختلفان عن طريقة الانسان السوى، وفى نهاية الامر، تأكد، ان كل حركة، وتصرف يقوم بها ذلك الشاب، كانت تدل على انه لص.

فيما بعد، عثر القروي على فأسه الضائعة، حيث نسيها، حينما ذهب لقطع بعض الأخشاب من الوادى، وفى طريق العودة، وبالقرب من بيت الجيران، وعندما شاهد الابن المتهم، تبين له ان نغمة صوت الشاب، وطريقة مشيته، لا تدلان على ان صاحبها لص.

ولو اعاد كل منا رؤيته للآخر، لاكتشفنا كم كنا مخطئين، فى روايتنا، وكم هو كم الشك والريبة، التى تكونت لدينا، لبعدنا عن حقيقة الآخر.

بدون ارادة

التـغيـيـر، حتى ولو كـانت العـبـارة مكررة، هى سّنة الكون، التغيير بالتطور الطبيعى مطلوب، والتـغيير بالطفرة قد يغرى فى بعض الاحـيان، وحـتى التغـييـر الى الاسوأ أفـضل احيـانا رغم سوئه، لأنه يكسر حدة الرتابة القاتلة، ويقول احدهم متندرا، حتى الثعبان يغير جلده، رغم الوانه الرائعة.

ولكن ان تظل بعض المجتـمعات العربية راكـدة، لا يتغير فـيها شـيـئا، طوال سـنين عديـدة، فأمـر مـأسـاوى، ولو زرت بعض المجتمعات العربية، لوجدت ان بعض المحـلات التجارية فيها، كما عـهدتهـا من ربع قـرن، نفس البضـاعـة، ونفس الديكور، ونفس الغبار، ونفس البائع.. ونفس.. ونفس.. واحد لا يتغير.

وبعض المجتـمعات الاخرى، تـرى ان التغييـر واجب الحدوث، واجب المثول، وان لم يغـيروه بأنفسـهم، فأن السنين تغـيره رغم ارادتهم، وما أسوأ التغيير الذى يتم من غير ارادتنا!

أمر طبيعي

تصـور كـيف تصـبح نمطيـة النظرة للآخـر ، نظرة تصل الى درجة خـلق صورة مـغايرة للواقع ، تفـرزها الأذهان التى تضع الطرف الثـانى فى صورة مـسـبقـة ، تلغى منه حـتى الصفـات الانسـانية .. لماذا ؟!

لأنه ربما يختلف عنه فى الرأى ، او رؤيتـه للأمور ، ولو تمعنا فى كيفية حدوث الخلاف هذا ، فأن نقاط الاتفاق تبدو هى الشاذة ، فكيف نطلب من بشر جـاءوا من نطف مختلفـة ، وشربوا حليب امهات مختلفات ، وتربوا فى بيوت ومستويات اجتماعية مختلفة ، ودرسـوا فى مدارس مـختلفـة ، وعاشـروا اصدقـاء مخـتلفين ، ومارسـوا مهنا مـختلفـة .. ونتعجب عـندما نراهم مخـتلفين فى آرائهم عنا ، هل زاوية الرؤية التى تـشكلت لديهم ، يجب ان تكون هى نفس زاوية الرؤية التى ننظر منها نحن الى الامور ؟

كانت فترة السبعـينات هى فترة التأطير ، تأطير روح القطيع ، السائد والتى وصلت ذروتها فى الـفكر الواحد ، واللبس الواحد ، والصوت الواحـد ، وكل من ليس منا فأن السـجن والمنفى مأواه ،

إن كنت فى السلطـة .. او المنفى فى غـربة الوطن ، ان كنت خـارج السلطة .

ماذا تعتقد ستكون عليه صورة العلائق مابين الاطراف المختلفة فى المجتمع ؟ وماهى العقلانية السياسية ، والتطور الطبيعى مابين هذه الاطراف ؟ إذن مايحدث هذه الايام يصبح امـرا طبيعيا يمكن تفهمه .



الخيار

احيانا، يفقد بعض المثقـفين المعاصرين، حكمة ما يريدون قوله، بالتنظير الكثيـر، ولا ادرى من اين جاءت كل تلك التنظيرات، رغم ان الايجاز، هـو ابدع مما جادت به القـريحة العربيـة، وبين وقت وآخر، اسـجل تلك الانجازات التراثية، الرائعة فى التعبير البلاغي، والحنكة السيـاسية، التى لا تتطلب كل تلك التـنظيرات، ويفهمـها الانســان البسـيط، بمغزاها المبـاشر، ويعـيهـا الانسان المثـقف، بمراميها البعيدة، ولنقرأ.

لما صـعد الحجاج المنبر، يشكو سوى طاعة أهل العراق، رد عليه جامـع المحاربى بقـوله: أما أنهم لو أحـبوك لأطاعـوك، على أنهم ماشنأك لنسبك، ولا لبدل، ولا لذات نفسك، فدع ما يباعدون منك، الى مايقربهم اليك، وليكن ايقاعك، وعبيدك، ووعيدك، بعد وعدك.

فأثارت تلك الكلمـات غضب الحجاج، فخـاطب جامع المحاربى قائلا: والله ما أرادنى ارد بنى اللكيعةالى طاعتى إلا بالسيف.

فرد جامع المحـاربى: أيها الامير، إن السـيف اذا لاقى السيف، ذهب الخيار.

فقال الحجاج: الخيار يومئذ لله!

فرد المحاربى: اجل ولكنك لا تدرى لمن يجعله!

فغضب الحجاج وقال: والله، لقد هممت أن أخلع لسانك، فأضرب به وجهك.

فرد عليه جامع المحاربى: يا حجاج، إن صدقناك أغضبناك، وان كذبتك، اغضبت الله، فغضب الامير اهون علينا من غضب الله.

اليست تلك المحاورة التراثية الرائعة، أرفع تعبيرا فى التراث، عن فن الحكم، والسياسة، والصحافة!



حمال الاسية

ميزة المثل الشعبى، انه يلتقط بروحه اللماحة، حكمة الدنيا، من خلال تجربته المعاشة، ورؤيته، التى اكتسبها، من شظف الحياة، والناس، والمجتمع، ويطلقها عبارة، قصيرة، موجزة، فى وجه الزمن.

وعندما تقول الحكمة الشعبية «حمال جديد فى الفرضة» يعطى لإندفاعة الجديد، البعد الذى يحمله من زخم التحدى، لكل من يدخل فى تجربة جديدة، فالحمال الجديد، فى الفرضة، يريد اثبات شطارته، ومهارته، وسط عتاولة الحمالين، فهو يهجم على صاحب البضاعة، مبدياً قوته، ويزاحم هذا، ويدافع ذاك، حتى يجد له موقعاً مناسباً.. فى عالم الفرضة، وهى دنياه الصغيرة.. المحدودة التى تشرق عليها الشمس.

وعندما نجيل الطرف، فيما حدث من حولنا، فى دنيانا الكبيرة، ونشاهد حركات سياسية، ومؤسسات ونظم، وأفراد، وشركات، وساسة، ومنظمات، وتجار، وفنانين، وكتاب، ورجال، ونساء، يتدافعون بمناكبهم، وبأسنانهم، وبأظافرهم، فلا تستطيع سوى ان تردد من المثل الشعبي: ما عليك منه.. هذى حمالى جديد فى الفرضة! وبيركد بروحه، اذا ما ركدته الدنيا، بقوانينها الطبيعية!

ظاهرة السخط

فى ظل عـدم التنوع ، وعدم الوضـوح ، وعدم الحـوار ، وعدم المصارحـة ، وعدم المكاشـفة ، وعـدم الرؤية ، وعدم .. فـأن حالة السـخط ، أو ظاهرة العـدم ، والتـذمـر ، هى الظاهـرة التى تخلق بعض الزعـامات .. والقـيـادات .. والتى لاتملك من مؤهل سـوى مؤهل التذمر.

كلما ازداد التذمر ، وازداد السـخط ، كلما كانت احادية النظرة فى الرؤية للأشخاص هى التى تبلور الرؤى . بمعنـى ان التقييم لك ، ينطلق من مدى تذمرك وسخطك .. لأن هذا هو المجال الوحيد المتروك لك .. لكى تثرثر فـيه .. وتتوسع فيه .. حـتى يصبح حالة مرضية .

ارفع صـوتك .. زد تذمـرك . اشتم او انقـد لافـرق هنا . روج أخبـارا ذات مصـدر سري قال لي .. أو هل سـمعت ذلك الخـبر ؟ فستصـبح فى النهاية زعيماً أو قياديا .. او مـنظراً .. بالضبط كما الطعام الذى تريد اخفـاء عيوبه .. بزيادة البهـارات والفلفل فيه .. فستخـتفى كل عيوب تلك الطبخة .. وسيـبقى طعم الفلفل الحراق يلهب الافواه ! وعندها .. ستكون بؤس الطبخة .. وبؤس الطباخ .. وبؤس الاكل .

المبرمجون

النفس المأزومة هذه الايام ، لا تتركز فى قـضية اختلاف آراء ، بل تتـركز فـى ازمة نمط من انماط التـفكيـر ، بمعنى انه عندمـا تسـتطيع ان تقولب تفكـير إنسـان ما فى نمط وشكل مـعين ، من خلال ثقافة مـقولبة ، تستطيع أن تجعل مثل هـذا الانسان مبرمج سلفاً ، تجـاه أى امر من الأمـور دون عناء ، وبالتالى تسـتطيع ان تتنبىء بردود فـعله مسـبقـاً .. بل تسـتطيع من خلال كلمـة ، او حركة ، ان تدفعه الى اتخاذ رأى، او موقف، او حتى ان تدفعه لكى يقتل، فأنت تعرف ذلك مسبقاً .

هؤلاء المبرمجون سلفاً ، تستطيـع أن تعرفهم حتى من هيئاتهم مهـما تغيرت أزيائهم : انهم يبـحلقون بعيـونهم كالروبوت ، ولو كادت ان تنطـلق من عيونهم الشـرار والسهـام لأحرقتك ، بـينما أيديهم تهرص بعضـها بعضاً ، حتى تحين الفرصة السانحة ليطبق بهما على عنـق الآخر ، المختلف عنه ، وينطلق مقـاطعاً حديثك إياه فى اى محور نقاش قبل ان تنتـهى من جملتك ، حيث انه قد برمج وجهـة نظره فيك .. ومـهما قلت من جـديد .. فسلفـاً هو ضدك ..

وضد آرائك .. وفى انتظار ان تسنح الفرصة له .. حتى بغلطة لكى تهرص أصابع يديه عنق الآخر المختلف معه هؤلاء المبرمجون سلفاً ، ومهما تغيرت أزيائهم ، تستطيع ان تعرفهم ، فلا يسلم أى شخص ، أو أى موقف ، من انتقاداته فى جلساته الخاصة .. أى بوجود عناصر روبوت أخرى تستقبل ارساله ، يريد تقييم العالم وهو مستخفياً فى جحره ، يتكلم امام الناس فى عموميات ، ويتهم الآخرين فى السر ، لايظهر على السطح الا كما يظهر «الشريب» عندما تثبر المياه ، وتركد الريح .. هؤلاء المبرمجون سلفاً ، الذين ظلوا فى خانة الشوادى دهراً .. نقول لهم لقد تغيرت البرمجة !



احتكار الحقيقة

دار حوار بين بعض المثقفين المصريين من مختلف المدارس الفكرية ، وهو حوار طريف يتلخص فى الاجابة على السؤال التالى : هل من الافضل ان تأتى الديمقراطية «دفعة واحدة» أم تأتى «بالتدريج» ؟!

ولن اقول ماهى وجهة نظرى ، وماذا افضل ، فليس ذلك مقصدى من هذه الاستهلالة ، ولكن تخيلوا نمط هذا النقاش لو طرح هذا السؤال قبل عقد من الزمان .. فلن نسمع عند ذاك سوى كلمات تتطاير هنا وهناك من مثل .. امبريالى .. شيوعى .. عميل .. خائن .. رجعى .. مارق إقطاعى .. ثم يصل النقاش الى نهايته على الطريقة العربية التقليدية بحسمه بالايدى ، ومن يتذكر كم نقاش على الخارطة العربية لم ينته بتلك الطريقة التقليدية ، منذ ايام الاندلس .. وحتى غزو الكويت .

على العموم ، ماعلينا من كل ذلك ، ونعود الى نقاش المثقفين المصريين لنجد مؤشرات جديدة ، حيث اصبح الكل يتقبل الرأى والرأى الآخر ، ويبرر ، ويقدم الحجج لرأيه ، لكنه لايتمسك

بفرضها عليك ، اما ان تتقبلها بشكل مطلق ، او ان السيف الفكرى مسلط عليك ، اصبح الاختلاف فى هذه الايام نعمة ، وقديما قيل ان اختلاف الفقهاء ، نعمة ، فدعونا نطبقها فى السياسة ، ولاندعى احتكار الحقيقة .



غزية الديمقراطية

من اسهل الامور، ان ننجرف مع الرأى السائد، فنحن فى نهاية الامر، إلا من غزية، إن غزت فأنت واحد منها، والغزية السائدة الآن، هى غزية الديمقراطية، ومن يستطيع ان يقف، ضد هذه القضية، فى مثل هذه الايام؟! فلن تكون عند ذاك سوى رجعى.. عميل.. وربما تقف ضد الزمن! وهنا سوف تراهن، بكل رصيدك الكتابى، على صخرة الرأى السائد، وتعالوا نحسبها مع بعض:

1 ـ ليس الامر، ان اقف مع او ضد الديمقراطية، فليس هذا الامر هو مجال المناقشة، إذ أن القضية محسومة سلفا، فالكل هذه الايام مع الديمقراطية.

2 ـ اليس هؤلاء المتشدقين الآن، لكلمة الديمقراطية، كانو ذات مرة من الزمن، من اشد انصار الحزب الواحد.. والحكم الواحد.. والرأى الواحد.. والذى سوف يسحل، ويسحق، وينفى الرأى الآخر، متى وصل الى السلطة؟

3 ـ اليس فى فترة من الفترات، كانت الاحزاب هى ام المصائب؟ والديمقراطية لعبة البرجوازية؟ والبرلمان، ساحة مناورة، لدكها من الداخل؟

4 ـ اليس الفساد، كـان سمة الاحزاب، والعصـور البرلمانية؟ وجـاءت الانقلابات، والثـورات الشعـبـية آنذاك، لتكون المنقـذة، ولتصبح فيما بعد هى المتـسلطة، على رقاب العباد.. ولتكرر قصة الفساد.. والدكتاتورية بزى آخر؟

5 ـ لنعد الى الارشيف، ولنر كم من حـبر سكبت المحابر ضد الديمقراطية، من قبل المطالبين الآن بالديمقراطية.

لذا يجب علـى الكاتب، ان يقف احـيـانا، ضـد الرأى السـائد، ويقول.. توقـفوا قليلا، حتى لا تنجـرفوا وراء روح القطيع، الذى ربما يقود الى الهـاوية احيانا!! ودعونا لا نقفـز الى النتائج، دون المرور فى المقدمات.



تغيير اليافطة

عندما يقول جلال الدين الرومى، ذلك الصوفى الرائع، قبل عشرات السنين، تتغير أشكال القوارير، والخمرة واحدة، لم يتجاوز الصواب، ونحن نرى بعض اليافطات السياسية تتغير، وليس لدينا اعتراض على هذه المتغيرات، ولكن الذى لا يصح هو تغيير القارورة السياسية، وابقاء المحتوى السياسى القديم نفسه!

الحزب الاشتراكى، او الشيوعى، او اليسارى، او القومى، او البعثى، او الدينى يدرس تغيير اسمه، بما يتفق مع المهام، التى يضطلع بها فى المرحلة الحالية، وبرنامجه السياسى الجديد، الداعى الى التحديث، والعصرنة، والعلمنة، والدمقرطة..

ولكن كيف يمكن للخمرة القديمة، كما قال جلال الدين الرومى، ان تصبح خمرة جديدة، مصفاة بتغيير القارورة فقط.

الشرب الجديد، يراد له قارورة جديدة، أم اذا قدم لنا نفس الشراب القديم، فى قارورة جديدة، فهذا يسمى.. الالتفاف حول شكل القارورة.. وسوف يكتشف الناس، بأن الشراب القديم هو نفسه.. لم يتغير.. بل تغيرت القارورة فقط.

الشرايب

مرة قال أحد الحكماء: ما أسهل ان تلقى بنفسك الى التهلكة، ولكن ماأصعب ان تحب الحياة، وتحاول التشبث بها، رغم كل الاخطار المحدقة بك.

وكذلك ما أسهل ان تقول كلمتك وتمشى، أو تلعن الحياة وتعتكف فى دارك، وما أصعب أن تعيش فى خضم الحياة القاسية لتمارس دورك رغم كل المخاطر.

وكذلك ما أسهل ان تكتب كلمتك الاولى والاخيرة وان تصمت، وما أصعب أن تظل فى قلب العاصفة وتقول اجزاء من كلمتك، رغم الهزوء احياناً، ورغم السخرية أحياناً أخرى، ورغم الصفعات، والغمزات، والنغزات أحيانا ثالثة.

المهم ان تظل فى وسط الحياة، وسط الحديث، وسط العاصفة، لا أن تصبح «شريب» تختفى عند ارتفاع المد، وتظهر عند انحسار مياه الثبر.. وتضرب بكلاليبك الصدفيه، صدرك الاجوف الذى يخلو من أكدار المد.

الناقة والبعير

فى تلك الايام الخوالى، حينما وصل الصراع السياسى على السلطة ذروته، من خلال الصراع المسلح، ما بين امير المؤمنين علي بن ابي طالب، ومعاوية بن ابى سفيان، ارسل علي بن ابى طالب، رسائل، ودعاة، الى جيش معاوية، يحرضهم بكلمات العدالة، والحق، ونصرة المظلوم.. لكى يقفوا الى جانب جيشه.. ويتركوا جيش الظالم.

وعندما علم معاوية بالأمر، ارسل الى علي بن ابى طالب، رسالة قصيرة، يقول له فيها، بما معناه: لقد ارسلت لمقاتلتك 100 الف جندى، لا يفرق الواحد فيهم، ما بين الناقة والبعير.. فوفر كلماتك عن العدالة.. والحق.. فإنها لا تنفع مع الجهل!

لذا، كانت معظم الجيوش، التى تقاتل، تتطلب ان يكون عنصر الجهل، اساسى فى جيوشها، ويروى لنا احد الذين درسوا الجندية، فى احد البلدان العربية، كيف ان الضابط المسؤول عن التدريب، يجعلهم يقومون بمحاولة زحزحة المبانى من مواقعها، وان يقيسوا ملاعب التدريب بالابرة، او ينزحوا ماء البحر بالمشخال.

وكانـت العمليـة، تهدف بالأسـاس، الى افراغ عـقل، من بقى له عقل، من محـتواه.. وملأه بمحتوى الاوامر فـقط.. حتى ولو كانت اوامـر جنونية.. والا من يتـصـور، أن يقوم أى عـاقل، باطلاق كل زخات الرصاص، لتغـتال شخص ما، يعارض توجه مجـموعة ما.. الا بوجود مـثل تلك العناصـر، التى لاتفرق بين الناقـة والبعـير.. وتنزح مياه البحر بالمشـخال.. وتؤمن بمبدأ نفذ ثم ناقش!



حتى لا يصبح المدى سراب؟!

وتعلمنا دروس التـاريخ، كـثيـرا من العـبـر، وفى الصراعـات البـشريـة، النابعة من جـذور سـيـاسيـة، او جـيوبولتـيكيـة او اقتصادية، او اجتماعية، أو دينية، او ثقافية، وأحيانا حتى مزاجية، فمن ينكر دور مزاج الحكام فى التاريخ!

إن نظرة متـأنيـة، الى المعارك، والصراعات، والمذابح التـاريخية، تثبت لنا على مساحة العين البشرية، ان كل تلك الاساليب القسرية، قد تصـبح ناجحـة فقط، فى تغـيير الأوضاع القائمـة، والى زمن قـصيـر نسبـيا فى عـمر الشـعـوب، ولكن تظل جذوة الكراهيـة، والبغض كـامنة فى النفوس، وفى القلوب، وفى السيـاق التاريخى نفسه، مهما تزيأ، وتقنع بأزياء أخرى.

ان المؤشـرات الزمنيـة، فى الـعـصـر الراهن، ومـا أفـرزته من تجـارب، فى الحرب العـالمية الأولى، والـثانيـة، وحرب الإقـتتـال الأهليـة، وأحـيـانا حـتى فى الثـورات الشـعبـيـة، والانقـلابات، والمؤمرات، تثبت الحاجة الى فـضيلة الايمان بحرية تبادل الأفكار، والحوار، ضمن قواعد معينة، ترتضيها مختلف الاطراف، عن وعى وقناعة، بأنهـا السبيل الأمثل الى الـتطور والنمو، والسير بسـفينة

الحياة المشتركة، الى الأمن، والأمان، والاستقرار.. ولن يرضى أحد من المجتمع الدولى المعاصر، بأن يقوم طرف منه، بأن يغير ما استقر عليه الوضع، بمرسوم، او بقانون، او حتى بالقوة.

إن المسار التاريخي، وفى لحظات معينة، من الزمن البشري، تفرض فيه الوقائع الموضوعية والذاتية، أن يرتضى الجميع لغة الحوار، ولغة التقاء الافكار، وتداخلها، بدلا من لغة الصدام، والتطاحن، والخراب.. وإلا ما هى حكمة القيادات السياسية، وتناغمها من حقائق عصرها؟!

إن هذه اللحظة، تسمى بالفرصة التاريخية التى لا تتكرر، تلك الفرصة، التى لا يمكن إقتناصها، لا قبل هذه الفترة ولا بعدها، لأن الامر يتطلب من أصحاب المسؤولية التاريخية، أن يعوا الزمن الذى يعيشونه، الزمن الذى لا يمكن أن يكرر نفسه، والزمن الذى لا يمكن أن يرجع للوراء.

ان الامر الجوهرى، المطلوب فى هذه اللحظة، التى لايمكن أن تتعرض، هو التضحية من مختلف الاطراف، والجرأة، والنظرة البعيدة المدى، التى تستوعب مختلف التيارات، والإتجاهات البشرية.

وان الشكل الواقعى، فى هذه اللحظات ان لم نقل الشكل الأمثل، بحكم التوازنات الاقليمية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، هو الشكل الذى ترتضيه مختلف الاطراف، برضاها واتفاقها، رغم النواقص، التى ستواكبه فى البداية، ورغم التضحيات الفؤية، من الاطراف التى تكون هذا المجتمع الإنسانى.

لقد اثبتت مختلف التجارب الانسانية، فى ادارة شؤون المجتمع، بأن الحوار، هو الاسلوب الصحيح لتنمية المجتمع البشرى، بمختلف فئاته، ولكن السؤال الأهم: من يقدر على اقتناص الفرصة التاريخية، قبل ان تنساب من الأيادى، إنسياب ذرات الرمل، من بين اصابع الزمن، ويصبح الحوار سراب؟



جيكل ومستر هايد

سؤال مقلق حقاً ، هل يمكن للإنسان ان يحاكم ذاته ؟! أقصد هل يمكن للإنسان ان يحاكم جزء من ذاته .. انفصل عنه هو لاحقاً ، هل سيكون مصيباً فى الحاضر ؟ ام مخطئاً في الماضى ؟! ام بالعكس ، اي مصيباً فى الماضى ، مخطئاً فى الحاضر ؟!

انه سؤال ليس محيراً كثيراً ، اذا جسدناه بوقائع ملموسة :

ـ اذا كان انسان ما «يمينياً» او محافظاً فى فترة زمنية من حياته .. ثم اصبح «ثورياً» او يسارياً فى فترة لاحقة من عمره ؟ فأى تلك الحقب هي الصح .. أو الخطأ؟!

ـ اذا كان الانسان مرتشياً فى ماضيه .. ثم اصبح شريفاً !؟ أو كان شريفاً ثم اصبح مرتشياً ؟! أو كان شريفاً ثم اصبح سارقاً ؟! وكان سارقاً ثم قرر ان يكون شريفاً بعد «الأرنب» الاول .. كما تقول الافلام .. من هو المصيب ، ومن هو المخطىء؟

من يحاكم من ؟! ومن هو المحق .. الحاضر ام الماضى ؟! ام الحاضر .. أو المستقبل ؟ من ضد من ؟! ومن يستطيع ان يقاضي ويقضى ؟! او من يستطيع اصدار الاحكام وهو مرتاح الضمير .. خالياً من الخطايا !

د مخرطوها

كلما أقرأ عن «العلمانية» العربية، قدحاً وهجوماً، وتحميلها بما لا طاقة لها به، تذكرت حكاية احمد لطفى السيد وقضية الديمقراطية، التى صارت دليلا على السذاجة والغفلة الانتخابية.

وحكاية احمد لطفى السيد وهو المفكر المصرى المعروف، الذى قرر أن يخوض الانتخابات البرلمانية المصرية، فى عهد الملكية تحت شعار الديمقراطية، وابتدأ حملته البرلمانية فى منطقته الانتخابية والتى تقع فى الارياف المصرية.. وما ادراك ما كانت الارياف المصرية آنذاك.

وكان احمد لطفى السيد، الافندى المثقف، الذى يعيش فى بندر مصر، القاهرة أم الدنيا، يتكلم عن الديمقراطية، وحقوق الانسان، وبلغة ولهجة بتوع «مصر»، وليست «بتوع» الأرياف.

وكان منافسه الانتخابى، من نفس المنطقة، يعرف كيف يفكر الفلاحون، وما هو مستوى تفكيرهم، فقال لهم قبل ان يأتى أحمد لطفى السيد، من القاهرة، ويشرح لهم برنامجه الانتخابى : أحمد لطفى السيد ده ديمقراطى، إنتو عارفين ايه ديمقراطى؟ ده عاوز يخلى الستات، يختلطوا بالرجالة، والراجل يتجوز إخته، ده راجل

مفسد، واذا كـنتوا مش مصدقينى إنه ديمقراطى، اسـألوه بنفسه، وهو سيقولكم!

وعندما جاء أحمد لطفى السيد، الى منطقـته الريفية الانتخابية، لم يكذب الفلاحين الخـبر، إذ سألوه مـباشرة: هو انت صـحيح يا استاذ، انك زى ما بيقولوا راجل ديمقراطى؟!

وطبعا الاستاذ احمد لطفى السيد، قد انتفخت اوداجه فخرا، ولم يعرف ان هناك فرقـاً كبيراً، بين مفهـوم الديمقراطية، الذى ينادى هو به، ومـفهوم الديمقـراطية فى اذهان الفـلاحين، الذى دس فى عقولـهم، من منافسه الانتخـابى الخبيث، لذا قال لهم أحـمد لطفى السيد، وهو يعدل طربوشـه: طبعا.. أنا ديمقراطى!!

وقبل ان يشـرح برنامجه، انفض عنه الفـلاحون، وسقط سقوطاً شنيعا فى الانتخابات البرلمانية، وفاز منافسه الخبيث!



الصافى واليريور.. والبلطى!

لو أجريت مسابقة حول افضل الاسماك مذاقاً ، لصاح بعض اهالى البحرين ، الصافى ، ولقال جزء آخر الهامور ، ولقال البعض الثالث الشعرى.

ولو اجريت نفس هذه المسابقة لصاح أهل الكويت ، وهل هناك افضل من الزبيدى؟ ولقال أهل الامارات سمكة ام الدم ، وقال اهل عمان اليريور ..

أما الهنود فسيقولون سمكة الجم ، واللبنانيون يعتقدون بأن السلطان ابراهيم هو الافضل، والمصريون يصرون على ان البلطى هو الاحسن .

فى بيروت سعر كيلو السلطان ابراهيم مائة دولار ، وفى البحرين قد يصل سعره الى دولار ، فى البحرين يصل سعر الصافى الى 3 دنانير ، وفى الاسكندرية يباع بملاليم ، فى الامارات ، يرمون سمكة الجم عندما يصطادونها ، وفى الهند تباع بالروبيات.

لماذا ؟! البعض يقول بأن انصار سمكة الصافى خونة مارقين ، بينما يصر أصحاب الهامور على ان جماعة السلطان ابراهيم

عملاء الامبريالية ، ومرتزقة ومن اصحاب العهود البائدة القديمة ، لكن جماعة البلطى يعتقدون ان جماعة الجم متخلفون من العالم الثالث المتخلف، ولايزالون يؤمنون بديكتاتورية البروليتارية . طبعاً لاتكفى هذه المساحة المتواضعة على الاسترسال فى عرض اتهامات كل طرف للآخر ، وكل مايمكننا قوله ان لكل بحر سمكه ، ولكل سمكه متذوقوها ، هكذا بكل بساطة ، وسنحلف بأنها ليست مؤامرة ضد الامة العربية.



كلما

كلما أحضر نقاشا فى ندوة، مهما كان موضوعها، وكلما احضر حلقة تبادل آراء، مهما كان موضوعها، وكلما اشهد حوارا بين اثنين، مهما كان موضوعه، وكلما راقبت مرؤوساً ينظر الى ما يقوله رئيسه، وكلما تابعت أبا يصدر تعليماته الى أطفاله، وكلما، وكلما، أجلت عيونى فى هذا الواقع العربى، من الرأى، والرأى الآخر، ورأيت طريقة هذا الحوار، ان كان هناك حوار، لوجدت ان من ابسط واجبات وزراء التربية والتعليم العرب، ان يسارعوا الى إدخال منهج الحوار فى مدارسهم، منذ صفوف الحضانة ان أمكن، وصولا الى الجامعات، واعادة تأهيل من تخرجوا من هذه المدارس بصفوف مسائية، والا تحولت ساحات المدن العربية الى مقاصب، ومسالخ، ومجازر، تحت مسميات تبتدىء بالخيانة، والعمالة، والوطنية، والانفصال، والوحدة، والتكفير، والتأسلم و.. واذا أردت الحجة، فالمثل العربى يقول بأنها عنزة ولو طارت!

سؤال

سؤال، سوف نختلف كلنا حول إجابته، لأن العالم والناس مختلفون حوله، بل ويتقاتلون عليه، والسؤال يقول: هل من الافضل، أن تظل دولة، مثل يوغسلافيا، تحت يد حديدية، ظلت فيه كل الاجناس مقهورة طوال سنين عديدة، في احلامها القومية، والدينية، والاثينية، أم تعطى لها الحرية، لكي تتقاتل، وتقتل بعضها بعضا، للوصول الى حريتها.

بمعنى آخر، أو كما طرحه بعض علمائنا الافاضل في التاريخ الاسلامي، حينما قالوا هل الافضل وجود سلطان ظالم.. أم فتنة تدوم؟

بمعنى ثالث، قد يجيب البعض، لو أننا اعطينا الفرصة من البداية، لأولئك البشر الفرصة لما حدث لهؤلاء ماحدث.. أو ربما قالوا، لولا السلطان الظالم، لما حدثت الفتنة.

أو بمعنى رابع.. لقال من قال ماقال! لكنه سؤال مهم، وسوف نختلف كلنا حول اجابته! على مدار العصور!

الاستقطاب

كما في السياسة، كما في الادب، كما في المسرح، كما في الموسيقى، كما في التعصب، كما في كل ما في كون المجتمع من أشياء سيئة، تبرز هذه القضية على السطح، في حالة ثنائية الاستقطاب.

الدكتاتوريون، كانوا يترعرعون، في ظل الاستقطاب السياسي الدولي، يحصلون على الدعم من خلال ذلك التناقض، والشعراء المزيفون، كانوا يترعرعون من خلال الاستقطاب الادبي السياسي، والانتهازيون، كانوا يترعرعون، من خلال استقطاب الأكثرية، والمرتزقة، كانوا يترعرعون، من خلال استقطاب الولاء.

لذا، كانت العملة الرديئة، تطرد العملة الجيدة، وكانت الكتلة الصامتة، ترى من خلال تلك الاستقطابات، كيف يبرز أشخاص لا مبرر لوجودهم، سوى حومة الاستقطاب.. وعندما تختفي تلك الظاهرة.. ظاهرة اى استقطاب.. تبرز العملة الجيدة!!

أزمنه

فى كثير من الحكم الشعبيـة، مدلولات عامة، تستخلص تجارب الحياة، فعندما يقول المثل الشعبى، انك تريد ان تأخذ زمنك، وزمن غيرك، فـهو محق فى هذا القول، لانك فى زحمـة اقتناص الأوقات الاخرى، تنسى نفسك، وتنسى سنك، وتنسى زمنك.

كل شيء فى هذا الوجـود له زمنه واوقـاته، الشجـرة تبتـدىء ببذرة، ثم نجيلة، ثم شجيرة، ثم شـجرة تثمر، ثم جذع خاو يصلح للحطب، وهذه هى دورة الحياه الطبيعيـة، الا الانسان فهو أحيانا، وقـد بلغ من العـمـر أرذله، يريد ان يكون فى قـدرة شـاب، وهذه العجوز المتبرجة تلبس فى عمر فتاة..

وهذه الحكمـة الشـعـبـيـة، تنطبـق ايضـا حـتى على الانظمـة السياسية، التى تريد ان تظل على ما هى عليه، لا تسمح للجديد ان يظهر، حـتى يثور عليها هذا الجـديد.. لأن هذه الأنظمة السيـاسية على قدمها، لا تريد ان تسمح للجـديد الذى يختلف عنها بالظهور، وتريد ان تأخذ زمنها وزمن غيرها!

هذرلوجيا

إن المتغيرات الميكانيزيمية، فى المفذلكات التاريخية، والمنحنيات العربية المعصرنة، تدعونا لفحص المحركات الايدلوجية الحداثوية، للوصول الى النظرية التفكيكية، فى الوجوب العربى الأزموى، وللإنطلاق منها، الى مفككات، ومعطيات، متغيرات التنظموى الدولى المتجدد.

ومن خلال المعطيات الايدلوجية، ذات المنقطع النظير، فى البؤرة الماضوية التراثوية، فإن الانقطاع السلطوى، ما بين الماضوى والحداثوى، فسوف يؤدى ذلك بالمثقف السطحوى، الى اغلاق بصيرته، فى التنظيرى الصورى - نسبة الى صورته - والرجوع الى رماديات الحفظ الكتبوى، ومن خلال تلك العلاقة الجدولية، التى تنظر الى الواقع الفئوى، المتركز فى تلافيف الدماغ الرجعوى، مما سوف يعطى خلطة هريسة حلوة، مخلوطة بباجة دسمة، مع قليل من محمر صافي، على مجبوس، والحلاوة عصيدة، مطعمة بالرانكينة..

هل فهتم شيئا.. طبعا ومن المؤكد لا.. ولا أنا ايضا!! ومحد يسألنى عن أى شيء!!

حوار

دكتور 1 متسائلا: ألم تكن رؤية الكاتب ماضوية؟

دكتور 2 معلقا: ان الماضوية لم تكن ابدا هى رؤية الكاتب..

دكتور 3 مجيبا : ان الكاتب ينطلق من ثنائية الماضوعصرية...

دكتور 4 مقاطعا: كلا! إنى اختلف معكما من حيث الحداثوية المضادة للماضوية..

دكتور 5 مضيفا: ولكن هذا الكاتب من انصار الرؤية البنيويوية، وهى تتجاوز الحداثوية..

دكتور 6 معترضا: انتم جميعا تهيمون فى حقولكم النقدية، ان الكاتب هو بالاساس يؤمن بالتفكيكية.

دكتور 7 شارحا: ان الانطلاق من الماضوية، مرورا بالماضوعصرية، وتجاوز الحداثوية للماضوية، والبنيويوية التى تواصف الحداثوية، سوف تدفعنا للوصول الى التفكيكية.

دكتور 8 موافقا: اعتقد بأننا ايها الدكاترة النقاد لسنا مختلفين، فى أننا نكمل حلقة النقد من اجل تثقيف الشعب... يجب علينا تجذير النقد العربى من خلال تلك المحاور الماضوية.. العصرية.. الحداثوية.. البنيويوية.. التفكيكية.

قارىء غبى: ولكن ما الذى كان يقوله ذلك الكاتب الطلسم! أنا لم أعرف بعد!

الحكيم الحائر

من الامثلة المعاصرة، عن العلاقة مابين الحاكم والكاتب، ورؤية كل منهما للآخر، قضية توفيق الحكيم، والرئيس جمال عبد الناصر.. وكتبة تقارير السوء!

وحينما كتب توفيق الحكيم، مسرحية السلطان الحائر.. انتهز كتبة التقارير الفرصة، ودسوا الحديث المنمق، عن الكاتب توفيق الحكيم، الذى يقصد بالسلطان الحائر.. عبدالناصر الحاكم.. وكانت المسرحية تناقش قضية الحاكم والديمقراطية!

وطبعا، عندما وصلت هذه الواقعة الى توفيق الحكيم، ارتعد خوفا، فهو فرد لايملك سوى قلمه، وحروفه، فماذا يفعل ازاء سلطة الاجهزة والدولة.. فاتصل بالصحافى محمد حسنين هيكل، وابدى له مخاوفه، وظنونه، وشكوكه، وخوفه، مما سوف يحدث له.

ورغم طمأنة السيد هيكل له، فأن الحكيم ظل غارقا فى خوفه، وقلقه، وكتبة التقارير يلاحقونه بالاتهام المسلط على رأسه، بأنه يقصد عبدالناصر بالسلطان الحائر، بينما هو يصرح فى كل مكان، بأنه لايقصد عبدالناصر.

وفى النهاية، طلب عبدالناصر، نص المسرحية، وقرأها، ولم يترك المسرحية لأحد، حتى لا يقدم له تفسيرا خاطئا.. ويقال بأنه عندما قرأ الرئيس المسرحية، وبعد أن انتهى من قراءتها، ضحك كثيرا من التفسيرات، التى رفعها أصحاب تقارير السوء!



الدون الهادىء

يذكر كثير من الرفاق، بأن جهداً كبيرا من تنظيراتهم الحزبية، كانت تندد بهؤلاء المنشقين، على الاتحاد السوفيتى العظيم، الذى تم طردهم من قلعة الاشتراكية، الى ما خور الامبريالية.

وغدا ساخاروف، وباسترناك، والكسندر سولجستين، رموزا لهؤلاء المنشقين، الذين استغلتهم الامبريالية الرأسمالية، لتحارب وطن الاشتراكية.

ومن البديهي، أن كلا من الطرفين، صار يشحذ اسلحته المختلفة، بما فيها أسماء هؤلاء الكتاب، كوقود فى معركة الحرب الباردة، بين معسكرين مدججين بكل الاسلحة العقائدية.

وها هو سولجنيستين يعود الى روسيا.. بعد عشرين عاما، من طرده من الاتحاد السوفيتي.. ولكنه يعود الى بلد آخر.. وليكرس نقطة حيوية مهمة، بأن الحقيقة ليست خالدة، بل ربما يصبح ماهو حقيقة فى زمن ما، كذبة كبرى فى زمن آخر.

وقراءة ثانية للكتاب العظيم الدون الهادىء، للكاتب السوفياتى شولو خوف مطلوبة، ورغم الضجة التى ثارت على هذه الرواية وعلى كاتبها، الا انها رواية تعد من روايات القرن العشرين،

المتميزة بملحميتـها، وبالصراع الذى كان يدور بين الروس الحمر، والروس البيض، وملحمة الثورة الروسية فى بداياتها.

وعندما كنا نقـرأ الرواية فى زمن ما، كـانت عين المؤلف تقودنا، وعين القارىء تنجـرف لرؤية طرف واحد، الطرف الاحمـر الغالب على صـبغـة بدايات القرن العـشرين، والآن عندمـا نعود لـقراءة الرواية مرة أخـرى، سنجد ان الطرف الابيض، الذى عـانى بسبب رؤية ايديولوجـية مسـبقـة تجاهه، سواء من المـؤلف، أو القارىء المتعـاطف، وبالتالى كـانت المذابح التى وصلت الى ملايين البـشر، تبررها الاخلاقـيات الايدلوجية المسـبقة، اما الآن فـسوف تجدها تختلف.. للبـيض أيضا مبررات اخـلاقية لاختلافـهم ولوجودهم، فـقط إن الرؤية الآن اخـتلفت، وصـار الذى يرى بالعين الحـمـراء المجردة، يعترف بأن هناك ايضا عين بيضاء مجردة!



حوارات

كان الجاحظ حينما يريد ان يفند حجج الخصوم، كان يأتي بحججهم كاملة، واحدة، تلو الاخرى، ويكون آنذاك متقمصا، روح، ورأى، وعاطفة أصحاب ذلك الرأى، ثم يقوم بتفنيد تلك الحجج، واحدة تلو الاخرى، بعبارات تلك الايام.

ويورد الاصفهاني، فى كتاب الاغانى، هو الآخر، نموذجا لنوعية من الحوارات، بين مختلف أصحاب الآراء.. يقول الاصفهاني:

(اجتمع متكلمان فقال احدهما: هل لك فى المناظرة؟

فرد الآخر قائلا: على شرائط، ألا تغضب، ولا تعجب، ولا تشغب، ولا تحكم، ولا تقبل على غيرى، وأنا اكلمك، ولا تجعل الدعوى دليلا، ولا تجوز لنفسك تأويل مثلها على مذهبى، وعلى ان تؤثر التصادق، وتنقاد للتعارف، وعلى ان كل منا يبقى مناظرته، على ان الحق ضالته، والرشد غايته..)

فهل الناس يتقدمون فى حوارات عصرهم أم يتأخرون؟ قارنوا بين هذا الرأى فى تلك الحوارات القديمة، وبين ما تقرأونه من حوارات ومحاورات معاصرة؟

الفأس الضائع

كانت العلاقات المحتقنة بين مختلف الاطراف الفاعلة فى المجتمع قد عبر عنها خير تعبير قصة صينية قديمة ، وربما حكمة الصين تكمن فى إيجازها التنظير الكثير فى حكمة موجزة ، لها البعد المباشر ، والمغزى العميق ، تقول الحكاية :

ضاع فأس أحد القرويين ، فشك ان يكون ابن الجيران قد سرقها ، وبدأ يلاحظ بدقة ، فبدا له ان نغمة صوت الشاب وطريقة مشيته تختلفان عن طريقة الانسان السوى ، وفى نهاية الامر ، تأكد أن كل حركة وتصرف يقوم بها ذلك الشاب ، كانت تدل على انه لص .

فيما بعد عثر القروى على فأسه الضائعة ، حيث نسيها حينما ذهب لقطع بعض الاخشاب من الوادى ، وفى طريق العودة وبالقرب من بيت الجيران ، وعندما شاهد الابن المتهم ، تبين له ان نغمة صوت الشاب وطريقة مشيته لاتدلان على ان صاحبها لص .

ولو اعاد كل منا رؤيته للآخر ، لاكتشفنا كم كنا مخطئين فى رؤيتنا ، وكم هو كم الشك والريبة التى تكونت لدينا لبعدنا عن حقيقة الآخر .

نوعية

لا تزال نوعية من حضور ومرتادى الندوات، لم تتغير بعد كل تلك الاعوام، وهذه النوعية من الحضور تأتى لكل ندوة، وقد حفظت لها كلمتين، ترددهما، وترددهما فى كل ندوة، حتى فى نهاية الامر، قد عرفها الحضور مسبقاً، وحّضروا أفواههم للضحك وللسخرية، مما سيقوله، لأنهم يعرفون كلامه مسبقا من كثرة تكراره.

والبعض الآخر من الحضور، يحضر لهذه الندوات والمحاضرات، وهو قد حفظ سؤالا ايديولوجياً، يعرف هو اجابته مسبقا، ليحرج به المحاضر من جهة، ويستمتع هو برؤية الحاضرين، يتطلعون اليه، والى سؤاله العبقرى.. الذى ولدتّه قريحته المريضة.

وبعض من الحضور، يأتى الى هذه المحاضرات، وهو قد اتخذ موقفاً مسبقا من المحاضر، اما لأنه على خلاف سياسى، مع افكار هذا المحاضر، أو أنه على خلاف ايديولوجى معه، او حتى أنه فى خلاف شخصى معه، او حتى أنه لا يعجبه شكله، ويتحين

الفـرصـة، حـتى يزل لســان المحاضــر بكلمــة، أو بفكرة، او برأى، يستطيع ان ينتهـز فيها الفرصــة، ويسفه المحاضر، فى شــخصه، وآرائه، وافكاره.

والبــعض من الحــضــور، يأتى الى هذه الندوات وهو قــد وزع الادوار، والاسئلة على عناصره، لـخلق نوع من الكمــين للمحاضر، إمــا عن طريق جـره، من خلال الاســئلة المعـدة سلفــا، من وجهــة نظرهم، ليؤيد، افكارهــم، او لتسفيــه أفكار المحاضر، المخــتلفة عن رؤيتهم.. واظهاره بمظهر الذى لا يفهم.

والبعض من الحــضـور.. والبعض من الحضــور، ولكن نصمت افضل..



نفور

ربما ينفر الحصان من السرج،

ربما ينفر السيف من الغمد،

ربما ينفر السجين من الأسر،

ربما ينفر الصدق من الكذب،

لكن هل ينفر القلب من العشق؟!

وهل ينفر ينبوع الحياة من الشرب؟!

وهل ينفر الحب من المحب؟!

وهل ينفر القلم من الحرف؟!

وهل ينفر. . . . .

وهل. . . . .



الفهرست

الموضوع	الصفحة
أدوار	5
4/1 الصحافة والخطأ الأول	6
4/2 التنميط والتعليم	8
4/3 مجرد مفاتيح	10
4/4 الحقيقة الغائبة	12
دماغ يوك!	14
الرأي السائد	16
مقال باسم مستعار	18
فترة تجريبية	19
التقرير اليومي المرفوع إلى سعادة الوزير..	20
حل النعامة	22
الزمان الصحيح	24
هذا أحبه وهذا أكرهه	26
شر المرورة ما يضحك	28
أين الخلل؟!	30
خوران	31

الموضـــوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضـوع	الصفحة







ابراهيم بشمي / معلومات عامة

ـ خريج جامعة القاهرة / كلية الآداب / قسم صحافة 1971.

العمل:

ـ صحفي في جريدة الأضواء البحرين 71 / 1973.
ـ مدير تحرير مجلة صدى الأسبوع / البحرين 1975.
ـ مدير مكتب جريدة الخليج الصادرة في دولة الإمارات العربية المتحدة/البحرين 80/1982.
ـ نائب مدير مركز الأمم المتحدة للإعلام/ البحرين 82/1983.
ـ الناشر ورئيس تحرير مجلة بانوراما الخليج/مجلة اجتماعية ثقافية فنية شهرية ـ 1983.
ـ العمل الحالي: نائب رئيس مجلس إدارة مؤسسة «الأيام» للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع والمدير العام.

صدرت له الكتب التالية:

* اليمن بوابة الخليج الخلفية/الشارقة.
* الكويت فرز الأوراق الديمقراطية/الشارقة.
* بلوشستان قوس الخليج المشدود ـ البحرين.
* أيام زمان.
* أرخبيل الحكايات.
* بيوت البحرين القديمة.
* مملكة هرمز .. الفقاعة الذهبية.
* منمنمات.
* حكايات الأمثال (اعداد).
* الحكواتي الشرقي.
* عقد اللآل في تاريخ اوال (اعداد).
* بر فارس (اعداد)
* المنامة شانزليزيه الخليج.

قصص الأطفال:

1 ـ العصفور الأعرج.
2 ـ الزهرة الزرقاء.
3 ـ سراطين البحر الجبانة.
4 ـ فرخ البط الخواف.
5 ـ اللؤلؤة السوداء.
6 ـ النبع المسحور.
7 ـ جزيرة الطيور.
8 ـ طائر الكيكو.
9 ـ أجمل الحكايات القديمة (مجموعة حكايات).
10 ـ الأصدقاء.
11 ـ النجمة المغرورة.
12 ـ السلاحف الثرثارة.
13 ـ مهرجان الضفادع.
14 ـ القطة الشقية.
15- مدينة شجاعة
16- الفراشة الطائشة
17- المهر الأدهم
18 ـ حكايات من جزيرة العرب (مجموعة حكايات).
19 ـ حكايات شعبية (مجموعة حكايات).
20- حكايات عبر العالم
21- حكايات من آسيا
22- حكايات من افريقيا
23- حكايات من امريكا اللاتينية
24- حكايات صمد بهرنجي

* مشارك في العديد من المؤتمرات والنـ[...]ـياسية المحلية والخليجية والعربية.
* مشارك في العديد من اللجان والمنتديـ[...]ـا العامة.

من اصدارات مؤسسة الايام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع